بسم الله الرحمن البرحيم

جمهورية السودان

جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم

مجلة كلية اللغة العربية

مجلة _ محكمه_ نصف سنوية _ تصدرها كلية اللغة العربية_ جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم

العدد الرابع – للعام 2017م

1/ اللغة وسمات الشخصية ، رؤية تأصيلة

د/ محمد أحمد عبد العاطي أبوناجمة

2/ التّوجيهات النحويَّة والصرفيَّة لرواية الإمام قالون

"دراسة تطبيقيَّة في سورتي الكهف ومريم"

د/ سعيد محمود عبد الحميد

3/ (ثُم) ومعانيها في القرآن الكريم عند الزمخشري وغيره من المفسرين

د/ هاجر سليمان طه

4/ الخلاف النحوي وأثره في دراسة النحو

د/ محمد أحمد إدريس إدريساي

5/ أثر الدعوة المحمدية في توجيه الحركة الشعرية في صدر الإسلام

(ظهور النقد الأخلاقي)

د/ إبراهيم صالح إدريس أبوبكر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالي :

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (2)) سورة يوسف

مجلة كلية اللغة العربية

مجلة علمية _ محكّمه _ نصف سنويه

العدد الرابع

تصدر عن كلية اللغة العربية

جامعة القرآن الكريم وتأصيل

العام : / / 1438هـ / / 2017م

قواعد النشر :

1. تنشر المجلة البحوث والدراسات التي تتناول مجالات المعرفة المتصلة بعلوم اللغة العربية المختلفة .
2. أن يخدم البحث قضايا اللغة العربية وفقاً للمنهجية العلمية
3. ألا يكون البحث المقدم قد سبق له النشر في أي مجلة علمية أخرى
4. يجب ألا يكون أي من البحوث أو الدراسات المقدمة جزءاً من رسالة دكتوراه أو ماجستير
5. أن يتسم البحث بالأصالة والجدة وأن يكون فيه إضافة للمعرفة
6. يشترط في البحوث المقدمة من الناحية الشكلية الآتي :

أ- أن يكون مطبوعاً في نسختين بخط (simplified Arabic) بحجم 16 وبهوامش 2 سم علوي وسفلي وأيسر ، و3 سم أيمن ، ونسخة ثالثة رقمية (بقرص مرن CD) .

7. ألا يزيد البحث عن 40 صفحة ولا يقل عن 20 صفحة بما في ذلك الأشكال
8. أن يكون مستوفياً لشروط التوثيق وفق المنهج العلمي بالنسبة للنصوص المرجعية ، والقرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف بصفة خاصة ، وتوثيق المصادر لتدوين المعلومات الخاصة بها في هوامش الصفحات .
9. يقدم الباحث ملخصاً لبحثه على ألا يزيد الملخص على (250) كلمة .
10. ترسل البحوث إلى رئيس تحرير المجلة وله حق الفحص الأولي للبحوث وتقرير صلاحيتها للتحكيم أو استعادة أي منها .

11. تخضع البحوث المقدمة للنشر للتحكيم العلمي من قِبل محكّمين اثنين من ذوي الاختصاص ويُبلّغ صاحب البحث بنتيجة التحكيم خلال مدة أقصاها ثلاثة أشهر من تسليم البحث .
12. هيئة التحرير غير ملزمة برد البحوث التي لا تقبل النشر .
13. يمنح كل باحث ثلاث نُسخ من عدد المجلة المنشور فيها بحثه .

مجلة اللغة العربية

الإشراف العام

د/محمد احمد عبد العاطي أبو ناجمة

رئيس هيئة التحرير

أ/ مجدي أحمد إبراهيم محمد

مدير هيئة التحرير

د/ محمد أحمد إدريس إدريساي

أمانة التحرير

أ/ خالد بشير محمد نور مصطفى أ / محمد بشير عبد الباقي

التدقيق اللغوي

أ/ عبد الوهاب فضل الله الجنيد أ/ محمد زين محمد عبد الله المكي

هيئة التحرير

أ.د / محمد الفاتح زين العابين د/ فوزية عمر د/ بركات محمد أحمد

الهيئة الاستشارية

د/ محمود مهدي الشريف

د/محمد حسب الله محمد علي

د/محمد أبو عبيدة الزبير

أ.د بابكر الدرديري

د/ برير سعد الدين

المناقل _ ولاية الجزيرة _ السودان

تلفون :

المراسلات رئيس مجلة كلية اللغة العربية المُحكّمة _ جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم

البريد الإلكتروني : khalidjwada@gmail.co

افتتاحية العدد

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسانٍ عربيٍّ مبين ، فقال ﷻ □ □ □ □ □ نم نى □ □ ّ النحل: ١٠٣، وقال ﷻ □ ين □ ّ الشعراء١٩٥، والصلاة والسلام على النبي الأمين ، أفصح العرب أجمعين ، وعلى آله وصحابته الذين جمعوا بين اللغة والدين .

أما بعد :

القراء الأعزاء من الباحثين والمهتمين بلغة العرب ، يسر أسرة مجلة كلية اللُّغة العربية المُحكَّمة ، أن تضع بين أيديكم عددها الرابع والذي جاء مزداناً بعدد خمسة بحوث ، والتي تناولت في مجملها مستويات اللغة المختلفة ، كما جاءت هادفة إلى تحقيق رسالة المجلة العلمية التأصيلية القاصدة إلى نشر المعرفة وخدمة القرآن الكريم .

وقد شارك في هذا العدد من مجلتكم ثُلَّة من الباحثين المختصين في علوم العربية ، وجميعهم من الأساتذة الجامعيين والمشهود لهم بالكفاءة في تخصصاتهم المختلفة .

وتصدَّر البحوث الواردة في هذا العدد بحث الدكتور محمد أحمد عبد العاطي أبو ناجمة ، الموسوم بـ (اللغة وسمات الشخصية)، من وجهة نظر تأصيلية متسقة مع نظريات علم اللغة الحديث وبيَّن الباحث عدداً من المفهومات منها مفهوم السمة والشخصية والاتصال الإنساني وأنواعه ، والتأثير والتأثر بين اللغة والشخصية ، وضمَّن شواهد من القرآن الكريم والسنة النبوية تؤكد أن اللغة سمة من سمات الشخصية ، وتوصل الباحث إلى جملة نتائج منها : إنَّ للُّغة وظيفة محورية في حياة البشر وليس وسيلة اتصال فقط .

وفي محور النحو والصرف جاء البحث الثاني بعنوان : (التوجيهات النحوية والصرفية لرواية الإمام قالون في سورتي الكهف ومريم) للدكتور سعيد محمود موسى عبد الحميد ، حيث سلَّط الباحث الضوء معرِّفاً براوية الإمام قالون وشيخه الإمام نافع المدني ، ومكانته بين القراء كما حاول الباحث بيان الأوجه النحوية والصرفية لرواية الإمام قالون متتبعاً فرش القراءة في مظانه من كتب القراءات وتوجيهها ، وتوصل الباحث إلى نتائج منها : إنَّ الإمام قالون لم يكن راوياً فحسب بل كان عالماً نحوياً وصرفياً فذاً ، كما توصل إلى عدد من وجوه النحو والصرف التي وردت في رواية قالون عن نافع في سورتي الكهف ومريم .

أما البحث الثالث فجاء بعنوان : (ثُمَّ ومعانيها في القرآن الكريم عند الزمخشري وغيره من المفسرين) للدكتور هاجر سليمان طه ، وقد تناولت الباحثة معاني حرف العطف (ثُمَّ) من خلال القرآن الكريم مستفيدةً من تحليل الزمخشري لمعاني هذا الحرف خلال تفسيره الكشاف ، كما ناقشت الباحثة آراء عدد من الباحثين ، ومنها أن تأتي (ثُمَّ) فلا تفيد معناها الحقيقي وهو التراخي ، وتوصلت الباحثة إلى نتائج نذكر منها : إنَّ لـ (ثُمَّ) معاني مجازية في كثير من آيات القرآن الكريم ، وإنَّ لصاحب الكشاف القدح المعلى في استجلاء معاني (ثُمَّ) المجازية وعنه نقل أكثر المفسرين .

كما تطالع عزيزي القارئ في هذا العدد دراسة بعنوان : (الخلاف النحوي وأثره في دراسة النحو) من إعداد الدكتور محمد أحمد إدريس إدريساي ، وقد تناول الباحث الخلاف النحوي وأسبابه وأنواعه وآثاره الإيجابية والسلبية ، وموقف النحاة منه ، وقد بيّن الباحث أن معظم مسائل الخلاف كانت في الفروع ، كخلافهم في العامل والعلل وبعض الأحكام الإعرابية ، كما تحدث الباحث عن أثر الخلاف في دارس النحو ، ودعا إلى تيسير وتسهيل الدرس النحوي ليناسب دارس النحو في مراحله المختلفة ، وتوصل الباحث إلى جملة نتائج منها : إنَّ الخلاف النحوي قديم قدم

النحو نفسه ، وإنَّ محاولة تيسير النحو منها المقبول ومنها المردود ، فالمقبول ما لا يمس جوهر القواعد والمردود ما ليس كذلك .

وفي محور الأدب العربي جاء بحث الدكتور إبراهيم صالح إدريس أبوبكر عن : (أثر الدعوة المحمدية في توجيه الحركة الشعرية في صدر الإسلام) ، وأوضح الباحث أثر الدعوة المحمدية في توجيه الحركة الشعرية في صدر الإسلام ، وذلك من خلال الآيات القرآنية والتي بيَّنت موقف الإسلام من الشعر والشعراء وكذلك أثر السنة المحمدية التي مدحت الشعر واتخذت منه سلاحاً لنصرة الدعوة ، كما تناول الباحث أثر الخلفاء الراشدين في توجيه الحركة الشعرية وفي حثهم على الشعر الذي يخدم الإسلام ويوافق مبادئ وأخلاق الرسالة الإسلامية ، وتوصل الباحث إلى نتائج منها : إنَّ الإسلام لم يعادِ الشعر بل شجَّع عليه ، وإنَّ القرآن قسَّم الشعراء إلى طائفة الغاويين أصحاب الشعر المذموم ، وطائفة الصالحين أصحاب الشعر المحمود .

وفي الختام نسأل الله لهذا العمل القبول . وجزيل شكرنا وتقديرنا لكل من أسهم في هذا العدد كتابةً وإعداداً وتدقيقاً وتصميماً ، حتى خرج في هذه الحُلة الزاهية ، ونحن على موعدٍ مع آرائكم ومقترحاتكم والتي تشكل إضافةً لأعدادنا القادمة إن شاء الله تعالى.

والحمد لله ربِّ العالمين

رئيس التحرير

محتويات العدد

الرقم	الموضـــوع	الصفحة
1	الاستدلال	أ
2	قواعد النشر	ب
3	هيئة التحرير	ج
4	افتتاحية العدد	د
5	اللغة وسمات الشخصية ، رؤية تأصيلية د/ محمد أحمد عبد العاطي أبوناجمة	1
6	التّوجيهات النحويَّة والصرفيَّة لرواية الإمام قالون "دراسة تطبيقيَّة في سورتي الكهف ومريم" د/ سعيد محمود عبد الحميد	
7	(ثُم) ومعانيها في القرآن الكريم عند الزمخشري وغيره من المفسرين د/ هاجر سليمان طه جامعة الملك خالد جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا	
8	الخلاف النحوي وأثره في دراسة النحو د/ محمد أحمد إدريس إدريساي	
9	أثر الدعوة المحمدية في توجيه الحركة الشعرية في صدر الإسلام (ظهور النقد الأخلاقي) د/ إبراهيم صالح إدريس أبوبكر	

اللغة وسمات الشخصية ، رؤية تأصيلية

إعداد الدكتور محمد أحمد عبد العاطي أبوناجمة

أستاذ علم اللغة المشارك بكلية اللغة العربية جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم

اللغة وسمات الشخصية،رؤية تأصيلية

المقدمة

الحمد لله المنعم المتفضل،المتفرد بالنعم دون امتنان المنزه عن الشبه والنقصان والصلاة والسلام علي سيدنا محمد وآله وسلم وبعد،

فمن منن الله على بني البشر أن جعل لهم منافذ للقول والتعبير والتفكير لفهم الدين والدنيا،والممثل لهذه المنافذ هو اللغة وهي ظاهرة اجتماعية ونفسية في حياة الكائن الحي الإنساني،وهي الوسيلة الأساسية في تفاهم أبناء البشر مع بعضهم بعضاً،بها يعبرون عن حاجاتهم من جد وهزل ومرح ،وطموحاتهم وأحاسيسهم، ومشاعرهم وأدبهم وثقافتهم، وهي أداة لنقل الأفكار والمعارف، كما أنها وسيلة مهمة من وسائل النمو العقلي والمعرفي والانفعالي.

ويستخدم الإنسان اللغة وسيلة للتربية،والتنمية الخلقية ،والدعوة للمعتقدات والمذاهب والاتجاهات الفكرية ، وتحسين العلاقات الأسرية والمجتمعية والتجارية والمهنية،واللغة بهذا المعني تعد ذات وظيفة محورية من بين المظاهر السلوكية الإنسانية من الناحية التطبيقية.

لذا جاءت هذه المساهمة المتواضعة لتوضيح العلاقة بين اللغة وبين شخصية المرء والتي يمثلها مجموع تلك السمات التي تكونه وتميزه عن غيره من أفراد جنسه، وهي سمات تؤثر في جميع مظاهر سلوكه وحياته، وتؤدى اللُّغة دورًا كبيرًا وفاعلاً في تهذيب تلك السمات وترسيخها، فالشخص يستطيع التغلب على خجله مثلا بالطلاقة في الحديث والشجاعة الأدبية ، وهذا لا يتأتى إلا من خلال اكتسابه ثروة لغوية امتلكها من التعلم بصورة عامة.

أسئلة البحث

1- ما العلاقة بين اللغة والشخصية؟

2- هل في القرءان أو السنة إشارات توحي بأن هنالك صلة بين اللغة والشخصية؟

3- ما مدى تأثير الضعف اللغوي على شخصية الفرد؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى كشف الصلة بين اللغة والشخصية، من وجهة النظر الإسلامية وعلم اللغة الحديث.

منهج البحث: اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي.

هيكلته:

يتكون البحث من مقدمة و أربعة محاور وخاتمة وقائمة بأهم المصادر والمراجع

المحور الأول: اللغة والسمة والشخصية

مفهوم اللغة

يعد مفهوم اللغة من المفاهيم التي احتار العلماء والباحثون في إيجاد تعريفٍ وافٍ وشاملٍ ومانعٍ له ، ولكن على الرغم من هذا فاللغة تعد من المظاهر الاجتماعية والنفسية في حياة الكائن الحي الإنساني،وهي الوسيلة الأساسية في تفاهم أبناء البشر مع بعضهم بعضا،بها يعبرون عن حاجاتهم من جدٍّ وهزلٍ ومرحٍ ،وعن طموحاتهم وأحاسيسهم، ومشاعرهم وأدبهم وثقافتهم، وهي أداة لنقل الأفكار والمعارف كذلك ،ومن خلال هذه الميزة عرَّف ابن جني اللُّغة بأنها" أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"وهو تعريف يؤكد الطبيعة الصوتية للُّغة والوظيفة الاجتماعية لها في نقل الفكر والتعبير عنه وأنها تستخدم في مجتمع. وهي عند

بياجية ([1]) نظام صوتي يتفق عليه مجتمع ما بهدف التفاهم والتواصل ليحققوا مبتغاهم الذي يريدون،ومؤسسة اجتماعية ذات قواعد تفرض نفسها علي الأفراد، وتتناقل جبرًا من جيلٍ إلى جيلٍ.وعند تراجر" اللغة نظام من الرموز المتعارف عليها،وهي رموز صوتية ،يتفاعل بواسطتها أفراد المجتمع في ضوء ثقافتهم الكلية"([2])

ويمكن أن نستنتج مما سبق من تعار يف أن اللُّغة نظام صوتي يميز اللغات بعضها عن بعض ويفرض نفسه على أفراد المجتمع، بحيث يعد تجاوزه أمرًا يجابَه برفض من العقل الجمعي الذي هو صاحب النظام الصوتي والحارس له رمزًا ودلالة،وتدخل في ذلك لغة الجسد. وأن لكل قوم أو شعب أو أمة من الأمم لغتها الخاصة التي تشكل هويتها،كما تعد اللغة وسيلة من وسائل الاتصال والتفاعل الذي تستخدمه الجماعة في عملية التفكير والتفاهم والاستمرارية في الحياة،كما أن اللغة متطورة وتطورها يعني قدرتها واستعدادها الكافي لاستيعاب أي رمز دلالي يعبر عن تطور اقتصادي،أو تقني أو اجتماعي أو غيره،وللغات في سنن التطور طرق تختلف تبعاً لطبيعتها كما هو معروف كذلك. واللُّغة بهذا المعنى تعد ذات وظيفة محورية من بين المظاهر السلوكية الإنسانية من الناحية التطبيقية.

مفهوم السمة

من الناحية اللغوية السمة هي العلامة والأثر جاء في معاجم العربية" والسِّمَةُ والوِسَامُ: مَا وُسِم بِهِ البعيرُ مِنْ ضُروبِ الصُّوَر. وَسَمَ"([3]) و" الْوَاوُ وَالسِّينُ وَالْمِيمُ: أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى أَثَرٍ وَمَعْلَمٍ. وَوَسَمْتُ الشَّيْءَ وَسْمًا: أَثَّرْتُ فِيهِ بِسِمَةٍ"([4]).أما من

---

[1]\ البنيوية تأليف جان بياجية ،ترجمة، عارف منيمة وبشير أوبرى،ط الأولي بيروت ، منشورات عويدات 1980 ص 63

\ المرجع في مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، رشدي طعيمه ومدكور وإيمان هريدي ،دار الفكر العربي [2]ص40

[3] السان العرب مادة(وسم)

[4]امعجم مقاييس اللغة مادة(وسم)

الناحية المصطلحية فقد عرفها (ألبورت) بأنها نظام عصبي نفسي عام خاص بالفرد، قادر على تناول المثيرات المختلفة تناولاً متعادلاً من الناحية الوظيفية،وعلى إنشاء وتوجيه نماذج سلوكية توافقية ثابتة. وعرفها (جيليفورد) بالصفة الجسمية أو العقلية أو الانفعالية أو الاجتماعية الفطرية أو المكتسبة التي يتميز بها الفرد، وهي تعبر عن استعداد ثابت نسبيًا لنوع معين من السلوك([5])إذًا هي أنماط معتادة من التفكير والعاطفة،ولا يمكن ملاحظتها مباشرة ولكن يستدل على وجودها من ملاحظة سلوك الفرد خلال فترة من الزمن.

والسمات الشخصية للفرد قد تكون نتيجة عوامل وراثية مثل الجهاز العصبي، وجهاز الغدد وعملية التمثيل الغذائي وذلك لا يحتاج إلى تعليم أو تدريب. وإما أن تكون مكتسبة،وهنا يكون للُّغة دور كبير في تحديد شخصية الفرد([6]) وقد ميز(ألبورت) بين نوعين من السمات وهما:

* سمات دينامية وهي توضح لماذا يسلك الفرد على هذا النحو بمعنى أنها تشير إلى العوامل الدافعة إلي النشاط.

* سمات أسلوبية. وهي تكشف عن كيف يسلك الفرد،بمعنى أنها تشير إلي طريقة الفرد وأسلوبه،وقد تصبح السمات الأسلوبية أيضا دينامية.([7])

مفهوم الشخصية

وردت كلمة(شخص) في معاجم العربية القديمة وهي تحمل دلالة سواد الإنسان من بعيد وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه، وكل جسم له ارتفاع وظهور فهو شخص،وجمعه أشخاص وشخوص وشِخاص. وشَخَصَ تعني ارتفع، والشخوص ضد الهبوط، كما يعني السير من بلد إلى بلد. وشَخَصَ ببصره أي رفعه فلم يطرف عند الموت ([8]). وعند الفلاسفة ثبات الذات ،وهو لفظ لم يرد في القرءان الكريم ولا في السنة النبوية المطهرة، إلا أن هناك ألفاظا ومفردات تدل على هذا

---

[5]\ علم الصحة النفسية ، مصطفى الشرقاوي، دار النهضة العربية ،بيروت . 1983م ص 72

[6]\ الشرقاوي ص79

[7]\ مدخل إلي علم النفس ،د، سهير كامل أحمد، مركز الإسكندرية للكتاب ص 73

[8]\ لسان العرب لابن منظور مادة (شخص)

المصطلح،كالنفس والإنسان،والفرد والمرء والذات، وبهذا يندرج تحته كلما ورد في نصوص القرءان عن الإنسان من حيث خلقه وجبلته ونشأته،وسلوكه وخلقه،وتعامله وشعوره وفكره، وخياله ومعتقده.([9]).

أما كلمة "شخصية" فإنها لم ترد إلاّ في العصر الحديث، وقد استعملتها المعاجم الحديثة ففي المعجم الوسيط"الشخصية صِفَات تميز الشَّخْص من غَيره وَيُقَال فلَان ذُو شخصية قَوِيَّة ذُو صِفَات متميزة وَإِرَادَة وكيان مُسْتَقل"([10]) وأما في الحقول المعرفية غير المعجمية فقد تعددت تعريفاتها نظرًا لتعدد جوانبها ويهمنا من هذه الحقول حقلان –علم النفس وعلم الاجتماع–

فلعلماء النفس تعاريف متعددة لهذا المصطلح فقد عرفها (فلمنج) بأنَّها" العادات والأعمال التي تؤثر في الآخرين"([11]) كما عرفها وودوث وماركويس بأنها " الأسلوب العام لسلوك الفرد،كما يظهر في عاداته التفكيرية وتعبيراته،وتوجيهاته وميوله،وطريقته وسلوكه،وفلسفته الشخصية في الحياة"([12])ويعرفها (ألبورت) بأنها" التنظيم الديناميكي في الفرد لجميع التكوينات الجسمية النفسية،وهذا التنظيم هو الذي يحدد الأساليب الفردية التي يتوافق بها الشخص مع البيئة"([13]) وقيل هي "التنظيم الذي يتميز بدرجة من الثبات والاستمرار لخلق الفرد ومزاجه وعقله وجسمه، والذي يحدد توافقه المميز للبيئة التي يعيش فيها "([14]) وعرفها آخر بأنها "نمط سلوكي مركب ثابت ودائم إلى حد كبير،يميز الفرد عن غيره من الناس،ويتكون من تنظيم فريد لمجموعة من الوظائف والسمات والأجهزة المتفاعلة معاً التي تضم القدرات العقلية،والوجدان أو الانفعال والنزوع والإرادة وتركيب

---

[9]\الشخصية الإنسانية في التراث الإسلامي، نزار العاني، عمان دار الفرقان،ط1، 1998م ص41

1\ المعجم الوسيط 1\475

[11]\أضواء علي الشخصية والصحة والعقل، عثمان فراج مكتبة النهضة،1970 م صـ، 9، 11، 13،

[12]\ نفسه ص11

[13]\ نفسه ص13

[1]\ علم النفس كامل عويضة، بيروت دار الكتب العلمية، ط1، 1996م ص811

الجسم،والوظائف الفيزيولوجية والتي تحدد طريقة الفرد الخاصة في الاستجابة وأسلوبه الفريد في التوافق للبيئة"([15])

أما الحقل الثاني علم الاجتماع ،فهو علم يعني بالشخصية بوصفها أحد أسس النظام الاجتماعي، كما يعنى بالجماعة التي تكون الأشخاص وأن العلاقات المتبادلة بين الجماعة يكون الفرد فيها عنصرًا فاعلا،وتؤثر شخصيته في تفاعله وفهمه للمجتمع أخذًا وعطاء وهي تعني عندهم " التكامل النفسي الاجتماعي للسلوك عند الكائن الإنساني الذي تعبر عنه العادات و الاتجاهات والآراء،فنلحظ هنا ربطا لأفعال الإنسان الفردية والاجتماعية بما ينتج عنها من نظم اجتماعية تتمثل في العادات والاتجاهات"([16])" فالشخصية في الحقلين إذاً هي مجموع الصفات الجسمية والعقلية والسلوكية والنفسية والعوامل البيئية سواء أكانت مادية أو اجتماعية أو ثقافية أو حضارية([17]).

فجماع القول أن شخصية المرء هي مجموع تلك السمات وهي التي تكونه وتميزه عن غيره من أفراد جنسه،وهي سمات تؤثر في جميع مظاهر سلوكه وحياته، وتعد اللُّغة على رأس تلك السمات جميعها.فهي ظاهرة اجتماعية يعبر بها عن القيم والعادات والتقاليد،والأعراف والمقومات الثقافية،والحضارية والبيئية،والفضائل والرذائل التي تميز مجتمعه،وهي ظاهرة سلوكية كذلك تدل على كمال العقل والإدراك،والذكاء والأنماط الفكرية،والتصورات والمشاعر والميول النفسي لاتجاه دون آخر.

المحور الثاني : الاتصال الإنساني مفهومه وأهميته ومكوناته وأنواعه.

---

[15]\ قياس الشخصية د احمد محمد عبد الخالق دار المعرفة الجامعية ص 64

[16]ادراسات في المجتمع والثقافة والشخصية، علي عبد الرازق جلبي، بيروت : دار النهضة العربية 1984م ص 345

[17]\ أثر الوراثة والبيئة في بناء الشخصية الإنسانية في السنة النبوية والفكر التربوي المعاصر،د، عماد عبد الله وأحلام محمود، مجلة جامعة الشارقة.

الاتصال لغة هو الوصل أو التواصل أو الوصال أو الصلة بين فرد وآخر أو بين فرد وجماعة يقول ابن فارس" الْوَاوُ وَالصَّادُ وَاللَّامُ: أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى ضَمِّ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى يَعْلَقَهُ. ووصلت الشيء وصلا.والوصل: ضد الهجران. والواصلة في الحديث: هي التي تصل شعرها بشعر آخر"([18]).وأما في الاصطلاح فهو "نقل المعلومات والمعاني والأفكار من شخص إلى آخر أو آخرين بصورة تحقق الأهداف المنشودة" ([19])ويعرفه قاموس إكسفورد بأنه" نقل وتوصيل الأفكار والمعلومات بالكلام أو الكتابة أوبا لإشارة"([20])

فالاتصال بتلك المفاهيم يعد في الأساس" عملية اجتماعية تعتمد على نسق كامل في الرموز ولا يتوقف على اللُّغة المنطوقة والمكتوبة فحسب،بل يمتد إلى مجموعة من الأفعال التى يأتيها الإنسان في موقف معين من خلال الكلمات والإشارات والإيماءات واللفتات والتعبيرات"([21]) .

إذن تعد الحاجة إلى الاتصال ضرورة بشرية توفر القدرة على المشاركة والتفاعل مع الآخرين رأياً ومعلومة وفكراً،لأن الإنسان مفطور بطبعه على التعايش مع البيئة والمجتمع،كما يزيد في فرص البقاء والنجاح الإنساني، ولا يمكن أن يتم أي أداء أو إنجازعلمي أو إداري أو ثقافي فكري أو اجتماعي أو غيره إلا به ومن هنا تنبع أهميته.

مكونات القدرة الاتصالية.

حدد الإطار الأوربي المرجعي المشترك للغات الذي أصبح هو المرجع الأساس في تحديد مستويات التعليم،ثلاثة مكونات للقدرة الاتصالية هي: المكون اللُّغوي،

---

[18]\ مقاييس اللغة لابن فارس مادة وصل

[19]\ مهارات الاتصال مع الآخرين،حسين جلوب،ط1،عمان دار كنوز للنشر والتوزيع،1431هـ ص18

[20]\ الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي،إبراهيم أبو عرقوب، دار مجلاوي 1993م ص17

[21]\الاتصال الفعال مفاهيمه وأساليبه ومهاراته،هالة منصور،د ط الإسكندرية ، المكتبة الجامعية ص10

والاجتماعي اللغوي، والتداولي،ويتشكل كل مكون من هذه المكونات من عدد من المعارف والمهارات الأدائية.

فالمكون اللغوي أو القدرة اللغوية يعرِّفها الإطار بأنَّها" هي التي تتعلق بالمعارف والمهارات المرتبطة بعلم الأصوات والمفردات والنحو وبالأبعاد الأخرى لنظام لغوي ما،مأخوذ كما هو بمعزل عن القيمة اللغوية–الاجتماعية لأشكاله المختلفة، وبمعزل عن الوظائف التداولية لاستخدامه"([22]) فقدرة هذا المكون اللغوي تستوعب في داخلها كل من القدرة الفونولوجية واللفظية والنحوية والدلالية والإملاية.

أما المكون الاجتماعي_ لغوي فيعرفه الإطار بأنه" تحيل القدرة الاجتماعية اللغوية إلي الثوابت الاجتماعية الثقافية في استخدام اللغة، إن هذه القدرة تتأثر بدرجة كبيرة بالقواعد والضوابط الاجتماعية (قواعد التهذيب تنظيم العلاقات ما بين الأجيال والأجناس والأنظمة الجمعية ،والمجموعات الاجتماعية والتقنين بواسطة اللغة لعدد من الممارسات الأساسية في نشاط مجموعة ما) لذلك تؤثر بدرجة كبيرة في التواصل اللغوي بين الممثلين لثقافات مختلفة حتى في الغالب دون علم المشاركين أنفسهم" ([23])أما المكون التداولي فهو الظروف المحيطة بالمخاطب والمخاطب وتدخل فيه لغة الإشارة بجميع أقسامها.

أما أنواع الاتصال الإنساني فهي نوعان:

الأول: اتصال لفظي وهو إما منطوق أو مكتوب ويستخدم رموزاً لمعان وفق قواعد اللغة ويشترط فيه الوضوح والابتعاد عن التشويش الدلالي.

---

[22]\ اللغة العربية للناطقين بغيرها في ضوء الإطار الأوربي المرجعي المشترك للغات، د،محمد داود،وعاطف الحاج ،مكتبة المقصورات،2016م 34

[23]\نفسه ص51

الثاني: غير لفظي (اللغة الصامتة)وهو الاتصال بلغة الإشارة وأعضاء الجسم،وقد تكون تلك الإشارة بسيطة أو معقدة في الاتصال مع الغير،وقد تكون لغة حركة وانفعال تشمل جميع الحركات التي يستعملها الإنسان لينقل إلى الغير معاني وأحاسيس، وقد تكون لغة أشياء وهي ما يستخدم من مصادر الاتصال غير الإشارة والحركة كارتداء الألوان والأزياء المزركشة التي تختلف دلالاتها من مجتمع لآخر "([24]) ولقد أثبتت معظم الدراسات في مجال الاتصال الإنساني أن الرسالة التي يريد المرسل إرسالها إلي المستقبل تصل إلي 20 % عن طريق الاتصال اللفظي وبنسبة 80% عن طريق الاتصال غير اللفظي (الإشارات وحركات الجسم)"([25]) وهذا النوع من الاتصال قديم قدم الإنسان ونجد السنة النبوية عند علماء الحديث تشمل أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريرا ته،كما نجد علماء أصول الفقه لهم عناية كبيرة بمقام الخطاب ([26]) و أيضا قدّم علماء المالكية عمل أهل المدينة لغة _غير لفظية_ على أحاديث الآحاد_ لغة لفظية_ لقوة دلالاتها. فإذا تمهد ذلك يمكن القول بأن الحاجة للاتصال الإنساني ضرورة،وأن التمكن من مكونات القدرة الاتصالية الثلاثة تعد من أولى ركائز بناء الشخصية قوة وضعفا،فكراً وإبداعا،انفتاحا وانزواء،وهذا ما سيفصح عنه المحور التالي.

المحور الثالث: التأثير والتأثر

في هذا المحور نحاول أن نتوصل إلى إيجاد علاقة التأثير والتأثر بين اللغة والشخصية من خلال خمس نقاط نذكرها مع التحليل لتكون برهانا علي وجود تلكم العلاقة وهي:

1- اكتساب اللغة واستخدامها.

---

[24]\المدخل في تكنولوجيا الاتصال الاجتماعي،محمد مهدلي،المكتب الجامعي الحديث،الإسكندرية ص70.

[25]\ لغة الجسم دراسة في نظرية الاتصال غير اللفظي،مدحت محمد أبو النصر، ص12، ط 1 القاهرة2006

[26]/ انظر مقاصد الشريعة للإمام بن عاشور _ ص 28 .

تدل الدراسات التي أجريت حول الاكتساب اللُّغوي،أن مراحل تطور الاكتساب اللُّغوي متحدة بين الأطفال بغض النظر عن اختلاف لغاتهم،كما أن اكتساب اللُّغة دليل على أن الطفل أخذ يتبوأ مكانه في مجتمعه،وهو دليل واضح كذلك على أن البنية العقلية للطفل أخذت تتطور من التركيز حول الذات إلى الموضوعية،فالاكتساب بهذه الطريقة هو واحد من مكونات الشخصية منذ البداية،وأما كيفية اكتساب اللُّغة الأم بالنسبة للطفل فهنالك نظريات متباينة حوله يمكن إجمالها في اتجاهين :

الاتجاه الأول: هو اتجاه يرى أن الأطفال يأتون لهذا العالم ولديهم ما يعرف باللوحة الملساء(rasatabula) بمعني أن عقولهم خالية تماماً من أي معرفة أو مفاهيم عن اللغة أو العالم، فهم ينتظرون التعلم من مصادر خارجية منها:البيئة التي يُستلهم منها الأسلوب بشقيه(الحوشي الفظ،والجزل الراقي) وهي عنصر أساس من عناصر مكونات الشخصية،وواحدة من تلك العناصر التي تشكل الطفل ببطء عن طريق التعلم الشرطي أو التعزيز.

وتمثل هذا الاتجاه النظريات السلوكية بنوعيها الارتباطية والوظيفية،والتي قوامها التوجه المباشر تجاه ملاحظة الكلام المعتاد(المثير والاستجابة) وترفض بهذا التوجه مبدأ طريقة التناول العقلية أو الذهنية.

الاتجاه الثاني: وهو اتجاه يرى أن الأطفال يولدون وهم مزودون بجهاز فطري معرفي محدد،وتمثل هذا الاتجاه النظريات المعرفية التي مؤدَّاها افتراض وجود قدرة عقلية فطرية تساعد الطفل على اكتساب اللغة،وليس ذهن الطفل صفحة بيضاء أو ملساء خالية من أي معرفة كما يرى أصحاب الاتجاه التقليدي،الذين ثار عليهم تشو مسكي الذي رأى أن اكتساب الطفل للغة ليس مشكلة لغوية خالصة بل تصحبها عوامل نفسية وعقلية واجتماعية،تؤثر بلا شك في عملية النمو اللغوي،

وأن الربط أو المزج بين تلك العوامل هو التفسير العلمي المقبول لقدرة الطفل اللغوية حتى الآن.([27])

فالدماغ البشري عند هؤلاء مستعد لتقَبل اللغة،فالطفل في نظرهم عندما يوجه إليه الخطاب يكون هنالك عطاء بشكل تلقائي من بعض المبادئ العامة الخاصة باكتشاف اللغة أو تنظيمها لكي تبدأ العمل. وانطلاقا من هذا المبدأ يري تشو مسكي "أن الفطرية الذهنية تقوم علي عدد من الكليات النحوية أو القواعد الكلية(Universal grammars) لتي تقوم بضبط الجمل المنتجة وتنظيمها بقواعد وقوانين لغوية عامة تخضع لها الجمل التي ينتجها المتكلم ويختار منها ما يتصل بلغته من قوالب وقواعد من بين الأطر الكلية العامة في ذهنه وهي كلية شمولية عالمية(universe) تتساوي لدى البشر،وتكوّن في هذا الإنسان منذ ولادته،ويطلق عليها تشومسكي جهاز اكتساب اللغة(lad) وهي فطرية تولد مع الإنسان ثم يقوم بملئها بالتعابير اللغوية من المجتمع الذي يعيش فيه،فتنضج وتقوى بالتدرج،وكلما اكتسب الإنسان ما يملأ به هذه الكليات الفطرية يزداد النمو الداخلي للقواعد الكلية في ذهنه في جزئية منها وهي المسئولة عن بناء الجمل وتراكيبها في لغته، فتتكون لديه القدرة على توليد الجمل واتباع القواعد التي يطلق عليها القواعد التوليدية"([28]).

2- العزلة الاجتماعية:

الإنسان مدني بطبعة واجتماعي في آن واحد،ولابد من تواصل مع المجتمع حوله تلبية لرغباته وإشباعا لها والذي يعرقل مسيرة هذا التواصل أو يضعفه هو قلة اللغة،لأن قلة مفردات اللغة لدى الشخص يؤثر فيه "من خلال الاستجابة

---

[27] \ نظرية تشو مسكي اللغوية . جون لاينز،ص 174،وانظر مدخل إلي فهم اللغة والتفكير د.حسين مرضي حسن دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ص44.

\ اللسانيات التطبيقية الحديثة لمجموعة من المؤلفين،الناشر الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا ط1 ،2015، ص55 وما [28] بعدها.

للنصوص اللغوية التي تحمل المعلومات والتوجيهات الخلقية والتربوية، فالإنسان يتعاطف مع من ينتمي إلى مجتمعه اللغوي الأصلي ويشاركه في الثقافة والمشاعر ويثق فيه أكثر من غيره"([29]) فقلة تلك الاستجابة تعني ضعف التواصل وإعاقة التخاطب والتفاهم مع الآخرين.

3- الشعور بالنقص: وهو داء ناتج عن عدم القدرة الاتصالية في التعبير عما يدور في خلجات النفس من مشاعر وأحاسيس في وقت يجيد فيه آخرون هذا النوع من القدرة على التعبيرات،ففقدان هذا النوع يولد بلا شك عند الشخص شعوراً بالدونية والنقص،ويقوده هذا النقص بدوره إلى اضطراب في الشخصية سببه القصور اللغوي الذي يحرم صاحبه من إشباع غريزته الاجتماعية ويجعله أكثر عرضة للتوتر والقلق،ويدفعه هذان الأمران إلى اكتساب عادات سيئة وشاذة تؤثر في ثبات شخصيته.

4- العجز عن الفهم والاستيعاب.

إنّ ما يكتب ويسطر في الكتب والمجلات ودوائر المعارف الموسوعية من أجل المعرفة والثقافة والتاريخ وغيرها،تمثل فيه المعرفة بلغة كلمات الكتابة البوابة المشرعة في إيصال أفكار الشخص،كما يتلقى من خلالها أفكار الآخرين،فعجزه عن هذا الأمر يعنى بالضرورة عجزاً عن فهم ما ينقل إليه من معارف واستيعابه خبرات،وتجارب نقلت إليه عن طريق الكتابة،إلا أنه يجد تلك الموسوعات المعرفية مليئة أمامه بالصعوبات والغموض فتضعف عنده الحصيلة العلمية والثقافية فضلا عن فهمها واستيعابها.

5- ضعف الإبداع

---

[29] مقدمة في علم اللغة التطبيقي، د،أحمد شيخ عبد السلام، مركز البحوث بالجامعة الإسلامية العالمية،ماليزيا ط 2،2006.

إذا كان الذكاء من لوازم الإبداع فليس هو كل شيء بل هو في حاجة أكيدة إلى معلومات تختزن في الذهن،والذاكرة تسعفه بالأخذ والعطاء متى ما أراد أن يبدع،ومصدر تلك المعلومات هو ما يجنيه الشخص من ثمار خبرات وعقول الكبار وتجاربهم،وتمثل تلك الخبرات المادة الخام التي يمكن أن تصقلها الموهبة فتصنع شيئا جديداً و تحمل الطابع الشخصي المؤثر بشرط سلامة المخرج وهو حسن الإبانة عنها،شَعر صاحبها بالارتياح النفسي. أما إذا كان يعاني من صعوبة في حصيلته اللغوية فهو قلق مضطرب ولا يتلقى الكثير من المعلومات بالطبع([30]) . يقول ابن عاشور "وَتِلْكَ الْخَوَاطِرُ إِذَا خَطَرَتْ فِي الْعَقْلِ نَشَأَ مِنْهَا إِعْدَادُ الْبَرَاهِينِ، وَفِي ذَلِكَ الْإِعْدَادِ تَكَلُّفٌ وَتَعَبٌ لِلْفِكْرِ فَإِذَا أَبَانَهَا أَحَسَّ بِارْتِيَاحٍ وَبِشِبْهِ السِّعَةِ فِي الصَّدْرِ". ([31])

وثمة أمر آخر وهو أن هذه النقاط الخمس آنفة الذكر مضاف إليها الخجل والعمى والصمم والبكم والإعاقات الجسدية الأخرى، هي دائما سبب ضعف الشخصية وانطوائها وعزلتها الاجتماعية،والإبداعية والمعرفية والعلمية، وهذه الأشياء كلها ولَّدت في نفوس هؤلاء انفعالات مكبوتة لم يستطيعوا التخلص منها و تفريغها إلا من خلال اللغة نطقا أو كتابة،أو إشارة،وبعد هذا التفريغ يصبح الشخص سويًا من الناحية النفسية فينطلق ليبدع في شتى المجالات ، والتاريخ يشهد بذلك من أمثال الإمام الشاطبي،ومصطفي صادق الرافعي،وطه حسين، وهيلين كيلر والتي كانت صماء وبكماء وقد استطاعت من خلال اللغة أن تكون من رواد علم النفس،فيمكن للفرد من خلال تمكنه من اللغة أن يصنع لنفسه سمات شخصية متفردة عن الآخرين.

---

[30]\العولمة وأثرها في لغة الطفل،د، سامي الصلاحا ت،مؤتمر الطفل بين اللغة الأم والتواصل المعاصر،الدوحة،المركز الثقافي للطفولة2007

[31]\ التحرير والتنوير،لابن عاشور، 19\106

إذا تمهد هذا يمكننا القول بأن العلاقة بين اللغة والشخصية تتمثل فيما يلي:

* أنه "لا سبيل إلى بقاء أحد من الناس ووجوده دون كلام "([32])

* أنَّ الألفاظ هي التي تحفظ الأفكار وتبلغها.
*اللغة وعاء لتفريغ الانفعالات النفسية المكبوتة.

* اللغة هي التي تولد الشخصية.

* الأسلوب هو مرآة شخصية صاحبه.

* لغة الجسد تعد ثقافية بالدرجة الأولي.

* أنَّ مكونات القدرة الاتصالية عند الإنسان كلها لغوية.

المحور الرابع: نظرة الإسلام في صلة اللغة بالشخصية

في هذا المحور محاولة لإيجاد ربط وثيق من خلال الكتاب والسنة لشكل الصلة بين اللغة_ المنطوقة أو المكتوبة أو حركات الشخوص (لغة الجسد،وتشمل كل الحركات مثل الإيماءة والتعبير الوجهي،ونظرة العين،غمضًا وفتحًا وتحويرًا،ووضع الجسم وغيرها)–وشخصية مستخدميها.

قال تعالي: ﱡ لم لى لي □□□□□□□□□ نم نىَّ محمد
فلحن القول هو أسلوبه وإمالته جهة التورية والتعريض،وهو من أبلغ أنواع القرائن علي مقصود المتكلم،ونجد أن المولى عز وجل أقسم (ولتعرفنهم)بدلالة هذه القرينة (لحن القول) علي مقصود المتكلم من خلال اللهجة ونبرات الصوت دون بقية السمات كالكشف عنهم بذواتهم وأشخاصهم وملامحهم، التي اشتُرِط فيها المشيئة(ﱡ لم لى لي □□) يقول ابن القيم رحمه الله في تفسير هذه الآية«وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ»"وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: علق معرفته إياهم بالنظر

---
[32] الإحكام لابن حزم، 1\30

على المشيئة ولم يعلق تعريفهم بلحن خطابهم على شرط، بل أخبر به خبرًا مؤكدًا بالقسم فقال: وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وهو تعريض الخطاب، وفحوى الكلام ومغزاه"([33])إلا أن معرفة السمة عن طريق لغة الجسد بعد المشيئة أصدق معنى من لحن القول.

كما تعد ملامح الوجه وتلوناته دليلا كافيًا علي شخصيات المجرمين يوم القيامة وبه يساقون إلي جهنم قال تعالي: الرحمن:

وبضدها تتميز الأشياء فالشخصيات المؤمنة القانتة في الدنيا والآخرة تعرف بملامح وجهية جاءت في قوله تعالي : الفتح:

ومنه ما جاء في الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِسَلَامٍ "([34]):فعبد ابن سلام عرف صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم من خلال ملامح وجهه عليه الصلاة والسلام والتي كانت مفتاحا لمعرفة شخصيته عليه الصلاة والسلام.

وقد أمر الله سبحانه رسوله الكريم بحسن استخدام الكلام في تبليغه رسالته وذلك لأهمية الأسلوب اللغوي في تكامل الشخصية واستوائها فقال سبحانه النحل

ويعد من استواء الشخصية أيضا حسن استخدام فهم الكلام وذلك فيما روي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ الْعَبْدُ مَا عِنْدَهُ» ، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ، وَقَالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ يُخْبِرُ رَسُولُ اللَّهِ

---

[33] \ تفسير ابن القيم 1\350

[34]\ سنن الترمذي حديث رقم 2485

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَبَرِ عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَهُوَ يَقُولُ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا.

فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمُخَيَّرُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَعْلَمَنَا بِهِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلا لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلا، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلامِ، وَلا يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إلا خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ»([35]) لقد بكى أبو بكر الصديق رضي الله عنه حزناً لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفارقهم بالموت وكان هو وحده الذي فهم قول الرسول صلي الله عليه وسلم وذلك لطول صحبته _وهو مكون تداولي بامتياز بل وأحد أركان القدرة الاتصالية_ الذي أثر في شخصيته إيجابا فعرفت كيف تكسب المواقف كلها دلالة ورمزاً،رضي الله عنه.

ومن أثر السلوك اللغوي في الشخصية ما نلحظه من مواظبة ذكر الله عز وجل قولا وفكرًا في إيجاد الشخصية الوديعة المتوازنة والمهذبة المطمئنة، لما للذكر من آثار طيبة مشهودة في شخصية المؤمن قال تعالى: ﴿ٱنهـ□هم□يجيحيخيـ□□□□□﴾ الرعد ﴿ٱتحتختهثم□جم□حمّ الشعراء يقول سيد قطب"والظاهر من حكاية قوله- عليه السّلام- أن خوفه ليس من مجرد التكذيب، ولكن من حصوله في وقت يضيق فيه صدره ولا ينطلق لسانه فلا يملك أن يبين، وأن يناقش هذا التكذيب ويفنده. إذ كانت بلسانه حبسة هي التي قال عنها في سورة طه: «وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي» ومن شأن هذه الحبسة (مكون لغوي)أن تنشئ حالة من ضيق الصدر، تنشأ من عدم القدرة على تصريف الانفعال بالكلام. وتزداد كلما زاد الانفعال، فيزداد الصدر ضيقا.. وهكذا.. وهي حالة معروفة." ([36]) ومن هنا ندرك أن حبسة اللسان أو قلة الألفاظ لم تتح لسيدنا موسى عليه السلام حرية الانتقاء النطقي في العبارات ليبين ما أمر به من تبليغ رسالة ربه إلي قومه وقد أورثه ذلك ضعفا في الإبداع البياني

---

[35]\ أخرجه الإمام مالك في الموطأ باب فضائل أصحاب رسول الله حديث رقم954.

[36]\ ظلال القرءان ،سيد قطب 5\2589

يقول ابن عطية في تفسيره لهذه الآية "وقد يكون عدم انطلاق اللسان بالقول لغموض المعاني التي تطلب لها ألفاظ محررة،"([37])

وَثمة أمر آخر وهو أن ضيق الصدر أمر نشئ من خواطر عقلية هي التي أعدّت البراهين والحجج وفي هذا الإعداد تعب فكري وإعداد ذهني واسع فإذا أبان عنه اللسان أحسّ صاحبه بالارتياح وانشراح الصدر وإذا لم يبن نتج عن ذلك اضطراب وقلق في الشخصية يقول ابن عاشور مبيناً هذا المعني ومستنتجاً له من العطف بالواو علي (يضيق صدري) "أَيْ يَنْحَبِسُ لِسَانِي فَلَا يُبَيِّنُ عِنْدَ إِرَادَةِ الْمُحَاجَّةِ وَالِاسْتِدْلَالِ وَعَطْفُهُ عَلَى يَضِيقُ صَدْرِي ينبىء بِأَنَّهُ أَرَادَ بِضِيقِ الصَّدْرِ تَكَاثُرَ خَوَاطِرِ الِاسْتِدْلَالِ، فِي نَفْسِهِ عَلَى الَّذِينَ كَذَّبُوهُ لِيُقْنِعَهُمْ بِصِدْقِهِ حَتَّى يَحُسَّ كَأَنَّ صَدْرَهُ قَدِ امْتَلَأَ، وَالشَّأْنُ أَنَّ ذَلِكَ يَنْقُصُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ بِمِقْدَارِ مَا يُفْصِحُ عَنْهُ صَاحِبُهُ مِنْ إِبْلَاغِهِ إِلَى السَّامِعِينَ، فَإِذَا كَانَتْ فِي لِسَانِهِ حَبْسَةٌ وَعِيٌّ بَقِيَتِ الْخَوَاطِرُ مُتَلَجْلِجَةً فِي صَدْرِهِ."([38])

قَالَ تَعَالَىٰ: [illegible] لقمان.

في هذه الآية الكريمة يوصي لقمان الحكيم ابنه أن يتجنب الخصال المقيتة ومنها تصعر الخد وهو أن تلو شِدْقَكَ إِذَا ذُكِرَ الرَّجُلُ عِنْدَكَ كَأَنَّكَ تَحْتَقِرُهُ.فيكون التصعير إذن لغة جسدية عبرت عن حال صاحبها ووصفته بالمحتقر والمستخف ومثله قوله تعالي [illegible] لقمان: يقول ابن جرير معني واقصد في مشيك" تواضع في مشيك إذا مشيت، ولا تستكبر، ولا تستعجل، ولكن اتئد"([39]) فالسرعة في المشي والالتفات وحركة اليدين والرأس كلها تعبير جسدي له دلالته، ومنه في السيرة النبوية أن أبا دجانة، الذي تناول السيف من يد رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) بحقه،في غزوة أحد أخذه وراح يتبختر بين الصفوف، فما أنكر عليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وإنما قال: «إن هذه مشية يكرهها الله إلا

---

[37] . المحرر الوجيز لابن عطية 4266

[38]\ التحرير والتنوير لابن عاشور19\106

[39]\ تفسير الطبري،20\146

في مثل هذا الموضع "([40]) فنوع المشية بهذه الكيفية يعطي معنى التكبر والخيلاء إلا أن سياق الموقف أعطاها بعدا دلاليا آخر.

ومن شواهد خفت الصوت ما جاء عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: "سَمِعْتُ البَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)إِلَى أَبِي رَافِعٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَتِيكٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُتْبَةَ، فِي نَاسٍ مَعَهُمْ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى دَنَوْا مِنَ الحِصْنِ» فَقَالَ لَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكٍ: امْكُثُوا أَنْتُمْ حَتَّى أَنْطَلِقَ أَنَا فَأَنْظُرَ، قَالَ: فَتَلَطَّفْتُ أَنْ أَدْخُلَ الحِصْنَ، فَفَقَدُوا حِمَارًا لَهُمْ، قَالَ: فَخَرَجُوا بِقَبَسٍ يَطْلُبُونَهُ، قَالَ: فَخَشِيتُ أَنْ أُعْرَفَ، قَالَ: فَغَطَّيْتُ رَأْسِي وَجَلَسْتُ كَأَنِّي أَقْضِي حَاجَةً، ثُمَّ نَادَى صَاحِبُ البَابِ، مَنْ أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ فَلْيَدْخُلْ قَبْلَ أَنْ أُغْلِقَهُ، فَدَخَلْتُ [ص:93] ثُمَّ اخْتَبَأْتُ فِي مَرْبِطِ حِمَارٍ عِنْدَ بَابِ الحِصْنِ، فَتَعَشَّوْا عِنْدَ أَبِي رَافِعٍ، وَتَحَدَّثُوا حَتَّى ذَهَبَتْ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى بُيُوتِهِمْ، فَلَمَّا هَدَأَتِ الأَصْوَاتُ، وَلاَ أَسْمَعُ حَرَكَةً خَرَجْتُ، قَالَ: وَرَأَيْتُ صَاحِبَ البَابِ، حَيْثُ وَضَعَ مِفْتَاحَ الحِصْنِ فِي كَوَّةٍ، فَأَخَذْتُهُ فَفَتَحْتُ بِهِ بَابَ الحِصْنِ، قَالَ: قُلْتُ: إِنْ نَذِرَ بِي القَوْمُ انْطَلَقْتُ عَلَى مَهَلٍ، ثُمَّ عَمَدْتُ إِلَى أَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ، فَغَلَّقْتُهَا عَلَيْهِمْ مِنْ ظَاهِرٍ، ثُمَّ صَعِدْتُ إِلَى أَبِي رَافِعٍ فِي سُلَّمٍ، فَإِذَا البَيْتُ مُظْلِمٌ، قَدْ طَفِئَ سِرَاجُهُ، فَلَمْ أَدْرِ أَيْنَ الرَّجُلُ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا رَافِعٍ قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: فَعَمَدْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ فَأَضْرِبُهُ وَصَاحَ، فَلَمْ تُغْنِ شَيْئًا، قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ كَأَنِّي أُغِيثُهُ، فَقُلْتُ: مَا لَكَ يَا أَبَا رَافِعٍ؟ وَغَيَّرْتُ صَوْتِي، فَقَالَ: أَلاَ أُعْجِبُكَ لِأُمِّكَ الوَيْلُ، دَخَلَ عَلَيَّ رَجُلٌ فَضَرَبَنِي بِالسَّيْفِ، قَالَ: فَعَمَدْتُ لَهُ أَيْضًا فَأَضْرِبُهُ أُخْرَى، فَلَمْ تُغْنِ شَيْئًا، فَصَاحَ وَقَامَ أَهْلُهُ، قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ وَغَيَّرْتُ صَوْتِي كَهَيْئَةِ المُغِيثِ فَإِذَا هُوَ مُسْتَلْقٍ عَلَى ظَهْرِهِ، فَأَضَعُ السَّيْفَ فِي بَطْنِهِ ثُمَّ أَنْكَفِئُ عَلَيْهِ حَتَّى سَمِعْتُ صَوْتَ العَظْمِ ثُمَّ خَرَجْتُ دَهِشًا حَتَّى أَتَيْتُ السُّلَّمَ، أُرِيدُ أَنْ أَنْزِلَ فَأَسْقُطُ مِنْهُ،فَانْخَلَعَتْ رِجْلِي فَعَصَبْتُهَا، ثُمَّ أَتَيْتُ أَصْحَابِي أَحْجُلُ، فَقُلْتُ: انْطَلِقُوا فَبَشِّرُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنِّي لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَسْمَعَ النَّاعِيَةَ، فَلَمَّا كَانَ فِي وَجْهِ الصُّبْحِ صَعِدَ النَّاعِيَةُ، فَقَالَ: أَنْعَى أَبَا رَافِعٍ، قَالَ: فَقُمْتُ أَمْشِي مَا بِي قَلَبَةٌ، فَأَدْرَكْتُ أَصْحَابِي قَبْلَ أَنْ يَأْتُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَشَّرْتُهُ"([41])

---

[40]\ فقه السيرة النبوية ، محمد سعيد رمضان البوطي،دار الفكر دمشق، 1426هـ ،ص 180

[41]\صحيح البخاري باب قتل أبي رافع حديث رقم 4040

فنلحظ هنا أن تمكن الصحابي الجليل من مكونات القدرة الاتصالية(المكون اللغوي) جعله يخفي شخصيته من خلال خفت الصوت وهمسه،والخفت الصوتي هنا قوة ودهاء في شخصية الصحابي أفرزته اللغة، والأمثلة من السنة علي ذلك كثيرة ولكن هذا ما قصدنا إبرازه.

الخاتمة:

الحمد لله الذي يسر ووفق وأعان على إكمال هذا البحث،الذي قصدنا من خلاله أن نوضح العلاقة بين اللغة والشخصية،مع شح المراجع في هذا الموضوع،وصعوبة ميدان التطبيق عليه،وقد توصل من خلال البحث للنتائج التالية:

* للُّغة وظيفة محورية في حياة البشر وليست وسيلة اتصال فقط.

* إنَّ التمكن من مكونات القدرة الاتصالية الثلاثة تعد من أولي ركائز بناء الشخصية قوة وضعفاً،فكراً وإبداعاً،انفتاحاً وانزواء.

* ضعف الشخصية واضطرابها أمر ناشئ عن خواطر عقلية هي التي أعدت البراهين والحجج وفي هذا الإعداد تعب فكري وإعداد ذهني واسع،فإذا أبان عنه اللسان أحسّ صاحبه بالارتياح وانشراح الصدر،وإذا لم يبن نتج عن ذلك اضطراب وقلق في الشخصية.

* إن اللغة وعاء لتفريغ الانفعالات النفسية المكبوتة.

* جاءت شواهد من القرءان والسنة تؤكد أن اللغة سمة أساسية من سمات تعرف الشخصية.

التوصيات

* يوصي الباحث بأن تدرس موضوعات و مناهج علم اللغة الحديث دراسة تأصيلية حفاظاً علي هوية الأمة وإرثها الحضاري.

* يوصي الباحث بالتوجه نحو الدراسات البينية،لما فيها من قوة الربط بين اللغة والعلوم الإنسانية والتطبيقية، وذلك يعكس دون شك منزلة اللغة في شتى المجالات،ويبصر بمحاسنها.

وصلى الله ربي وسلم على الهادي الأمين وآله وصحبه والتابعين، وآخـــــــــــــر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع:

-الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي،إبراهيم أبو عرقوب، دار مجدلاوي 1993م.

-الاتصال الفعال مفاهيمه وأساليبه ومهاراته،هالة منصور،د ط الإسكندرية ،المكتبة الجامعية.

-أثر الوراثة والبيئة في بناء الشخصية الإنسانية في السنة النبوية والفكر التربوي المعاصر،د، عماد عبد الله وأحلام محمود، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية6-2008،1م .

- الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي الظاهري تحقيق: أحمد محمد شاكر،الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت.

-أضواء علي الشخصية والصحة والعقل، عثمان فراج مكتبة النهضة،1970م.

-البنيوية تأليف جان بياجية ،ترجمة، عارف منيمة وبشير أوبرى،ط الأولي بيروت،

-التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور التونسي الناشر: الدار التونسية للنشر، 1984م.
تفسير القرآن الكريم،محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية،تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية،الناشر: دار ومكتبة الهلال ، بيروت،الطبعة: الأولى - 1410 هـ .
-دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية، علي عبد الرازق جلبي، بيروت : دار النهضة العربية 1984م .
-الشخصية الإنسانية في التراث الإسلامي، نزار العاني، عمان دار الفرقان،ط1، 1998م.
الطبعة: الثالثة - 1414 هـ.
عبد السلام عبد الشافي محمد،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت،الطبعة: الأولى،1422 هـ
- علم الصحة النفسية ، مصطفى الشرقاوي، دار النهضة العربية ،بيروت . 1983م.
-علم النفس، كامل عويضة، بيروت دار الكتب العلمية، ط1، 1996م .
-العولمة وأثرها في لغة الطفل،د، سامي الصلاحا ت،مؤتمر الطفل بين اللغة الأم والتواصل المعاصر،الدوحة،المركز الثقافي للطفولة 2007 م.
-فقه السيرة النبوية ، محمد سعيد رمضان البوطي،دار الفكر دمشق، 1426هـ
-في ظلال القرآن، سيد قطب،: دار الشروق،بيروت،القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - 1412 هـ.
-قياس الشخصية، د، أحمد محمد عبد الخالق، دار المعرفة الجامعية.
-لسان العرب،محمد بن مكرم بن على ، جمال الدين ابن منظور،الناشر: دار صادر، بيروت
-اللسانيات التطبيقية الحديثة لمجموعة من المؤلفين،الناشر الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا ط1 ،2015 م.
- لغة الجسم دراسة في نظرية الاتصال غير اللفظي،مدحت محمد أبو النصر،ط 1 القاهرة2006م.

-اللغة العربية للناطقين بغيرها في ضوء الإطار الأوربي المرجعي المشترك للغات، د،محمد داود محمد،وعاطف الحاج سعيد،مكتبة المقصورات،2016م
-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،: أبو محمد عبد الحق تمام بن عطية الأندلسي، تحقيق
-مدخل إلي علم النفس ،د، سهير كامل أحمد، مركز الإسكندرية للكتاب.
-مدخل إلي فهم اللغة والتفكير د.حسين مرضي حسن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
-المدخل في تكنولوجيا الاتصال الاجتماعي،محمد مهدلي،المكتب الجامعي الحديث،الإسكندرية ص .
-المرجع في مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخري، رشدي طعيمه ومدكور وإيمان هريدي ،دار الفكر العربي.
-المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة،الناشر: دار الدعوة.
معجم مقاييس اللغة أحمد بن فارس، أبو الحسين،تحقيق: عبد السلام محمد هارون،الناشر: دار الفكر: 1399هـ - 1979م.
-مقدمة في علم اللغة التطبيقي، د،أحمد شيخ عبد السلام، مركز البحوث بالجامعة الإسلامية العالمية،ماليزيا ط 2 ،2006م.
-مهارات الاتصال مع الآخرين،حسين جلوب،ط1،عمان دار كنوز للنشر والتوزيع،1431هـ.
-نظرية تشومشكي اللغوية . جون ليونز،ترجمة وتعليق د،حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية.

التّوجيهات النحويَّة والصرفيَّة لرواية الإمام قالون

"دراسة تطبيقيَّة في سورتي الكهف ومريم"

إعداد الدكتور سعيد محمود عبد الحميد

أستاذ النحو والصرف المساعد بجامعة القرآن الكريم وتاصيل العلوم

مستخلص الدراسة :

يجيء هذا البحث **بعنوان:** (التوجيهات النحوية والصرفية لرواية الإمام قالون في سورتي الكهف ومريم) لتحقيق جملة من الأهداف ، أبرزها : التوجيه النحوي والصرفي لرواية قالون في سورتي الكهف ومريم والوقوف على مدى موافقة روايته لآراء النحويين والصرفيين ، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي وتوصل إلى نتائج ، أبرزها: لقد ثبت للباحث من خلال الدراسة أنّ الإمام قالون لم يكن راوياً فقط ، بل كان راوياً فاضلاً ومجوداً ، علاوة على ذلك كان عالماً نحويِّاً وصرفيِّاً فذاً ؛ لما اشتملت عليه روايته من آراء مؤيدة بالحجج وموافقة لآراء النحويِّين والصرفيِّين. وقد تنوعت موضوعات النحو التي وردت في سورة الكهف في سبعة أبواب هي: الإضافة والضمير والتوابع وبناء الفعل المضارع ومرفوعات الأسماء ومنصوباتها ، وذلك من خلال سبعة مواضع. بينما كانت موضوعات النحو التي وردت في سورة مريم في سبعة أبواب هي : التوابع وجزم المضارع في جواب الطلب وإسناد الفعل ومجرورات الأسماء وأنواع الفعل بحسب الزمن ومرفوعات الأسماء وفتح همزة (إنّ) وكسرها، وذلك من خلال خمسة مواضع. وقد تعددت موضوعات الصرف التي وردت في سورة الكهف وتمثلت في ستة أبواب هي : المصدر وتاء الافتعال والتخفيف وتعدي الفعل والجمع والاشتقاق ، وذلك من خلال تسعة عشر موضعاً. بينما كانت موضوعات الصرف التي وردت في سورة مريم في خمسة أبواب هي : المصدر وإسناد الفعل والاشتقاق والتخفيف والجمع ، وذلك من خلال تسعة مواضع. توصي الدراسة بأن تتجه الدراسات النحوية والصرفية التطبيقية نحو النص القرآني ، من خلال قراءاته ؛ لقطف ثمراته واستخراج كنوزه.

مـقدمـة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ؛ سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد :

يعد علم القراءات من أَجَلِّ العلوم قدرًا، وأعلاها منزلة؛ لتعلقه بأشرف الكتب السماوية على العموم، وأفضلها على الإطلاق، وهو القرآن الكريم والكتاب المبين الذي أنزله الله –عز وجل– هداية للخلق، وتشريعًا واضحًا، ومنهجًا متكاملًا للحياة البشرية ، وقد فضله الله –عز وجل– على غيره من الكتب، وجعله مهيمنًا عليها.
قال تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ}[42].
وقد جعل الله –عز وجل– قراءته وتلاوته عبادة مفضلة، وأمرًا مرغوبًا فيه، فعن النعمان بن بشير –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن" [43].
وكانت تلاوة القرآن أحب إلى سفيان الثوري من الغزو في سبيل الله؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"[44].
ولشرف القرآن الكريم أصبح حملته أشراف هذه الأمة، وقراؤه ومقرئوه أفضل هذه الملة.
ومن ثَمَّ حَرَصَ السلف من الصحابة والتابعين على قراءة القرآن الكريم وإقرائه، وكانوا لا يعدلون بإقرائه شيئًا، وقد رُوي أنه قيل لعبد الله بن مسعود رضي الله

---

[42] – المائدة: 48.

[43]– شعب الإيمان ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ) حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه :الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه :مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ، ط1،رقم الحديث: 1869.

[44] – صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن، برقم: 5027.

عنه: إنك تقل الصوم؟! قال: إني إذا صمت ضعفت عن القرآن، وتلاوة القرآن أحب إليَّ.

وعلم القراءات أشرف العلوم منزلة، وأرفعها مكانة، وهو مصدر جميع علوم العربية عمومًا، وعلوم الشريعة خصوصًا، يحتاج إليه: المقرئ، والمفسر، والمحدِّث، والفقيه، واللغوي على السواء.

وبهذا العلم المبارك تتعلق علوم أخرى مباشرة: كعلم تراجم القراء، وعلم توجيه القراءات، وعلم رسم المصحف، وعلم الضبط، وعلم الفواصل، وعلم التجويد، وغيرها من العلوم، ومن هنا تأتي أهميته وتنشكف مكانته.

يقول الإمام شهاب الدين القسطلاني "ت923هـ":

" ...وبعد: فإن القرآن ينبوع العلوم ومنشؤها، ومعدن المعارف ومبدؤها، ومبنى قواعد الشرع وأساسه، وأصل كل علم ورأسه، والاستشراف على معانيه لا يتحقق إلا بفهم رصفه ومبانيه، ولا يطمع في حقائقها التي لا منتهى لغرائبها ودقائقها إلا بعد العلم بوجوه قراءاته، واختلاف

رواياته؛ ومن ثَمَّ صار علم القراءات من أَجَلِّ العلوم النافعات، وإذا كان كل علم يَشرفُ بشرف متعلقه، فلا جرم خُص أهله، الذين هم أهل الله وخاصته بأنهم المصطفَون من بريته، والمجتبون من خليقته، وناهيك بهذا الشرف الباذخ، والمجد الراسخ، مع ما لهم من الفضائل اللاحقة، والمنازل السابقة، فمناقبهم أبدًا تُتلى، ومحاسنهم على طول الأمد تُجلى ... "[45].

ومكانة علم القراءات تتجلى واضحة من خلال قراءتنا لخصائص هذا العلم وفوائده.

فبالقراءات ترجح بعض الأوجه التفسيرية، وبعض الأحكام الفقهية ، وبعض القضايا النحويِّة والصرفيِّة، من هنا أتت هذه الدراسة في التوجيه النحويِّ والصرفيِّ لرواية الإمام قالون تطبيقاً في سورتي الكهف ومريم ، وذلك بذكر ما قرأ به مع الإشارة لبعض القراءات الأخرى.

مشكلة الدراسة :

---

[45] – لطائف الإشارات لفنون القراءات ، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني المصري الشافعي ، تحقيق : عامر السيد عثمان وعبد الصبور شاهين ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة، 1392هـ. 1/ 6.

يمكن صياغتها في الأسئلة التالية:

1- ما التوجيهات النحويِّة لرواية قالون في سورتي الكهف ومريم ؟

2- ما التوجيهات الصرفيِّة لروايته في سورتي الكهف ومريم ؟

3- ما مدى موافقة روايته لآراء النحويِّين والصرفيِّين؟

أهمّيّة الدراسة:

تبدو أهمّيتها من خلال تعلقها بالقرآن الكريم والتوجيه النحويِّ والصرفيِّ لقراءاته ، وإبراز مدى موافقة الرويات لآراء النحويِّين والصرفيِّين.

أهداف الدراسة:

تتمثل أبرز أهداف الدراسة في الآتي:

1- التوجيه النحويِّ لروايته في سورتي الكهف ومريم.

2- التوجيه الصرفيِّ لروايته في سورتي الكهف ومريم.

3- خدمة الباحثين والدارسين لرواية الإمام قالون بتسهيل مهمة بعض ما يبحثون عنه في بطون الكتب المتناثرة في القراءات.

منهج الدراسة :

المنهج الوصفيُّ التحليليُّ.

حدود الدراسة:

تتمثّل الحدود الموضوعية للدراسة لرواية الإمام قالون في سورة الكهف وسورة مريم.

الدراسات السابقة :

لم تقع عيني على بحث أو دراسة كتبت في التوجيه النحوي والصرفي لرواية الإمام قالون، غير أني استفدتُ من كتب القراءات والنحو والصرف وكتب تفسير وإعراب القرآن الكريم.

هيكل الدراسة :

تقع هذه الدراسة في مقدمّة وتمهيد ومبحثين وخاتمة وهي على النحو التالي:

المقدمة : تحوي مشكلة الدراسة والأهميَّة والأهداف والمنهج والحدود والدراسات السابقة والهيكل.

التمهيد: يحوي التعريف بالإمام قالون.

المبحث الأول : التوجيه النحوي لروايته في سورتي الكهف ومريم.

المبحث الثاني : التوجيه الصرفي لروايته في سورتي الكهف ومريم.

الخاتمة: تحوي أبرز النتائج والتوصيات.

التمهيد

التعريف بالإمام قالون

أولاً : اسمه ولقبه ومولده وصفاته.

هو عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى بن عبد الصمد بن عمر بن عبد الله الزرقي ، ويقال المري مولى بني زهرة المدني النحوي (120–220هـ)، الملقب بقالون. وهو بالرومية" جيد". لقبه به نافع لجودة قراءته. قرأ على نافع سنة 150هـ، واختص به كثيراً. وكان إمام المدينة ونحويها. قال: «قرأت على نافع قراءته غير مرة، وكتبتها في كتابي». أخذ القراءة عرضاً عن نافع: قراءة نافع، وقراءة أبي جعفر .وعرض أيضا على عيسى بن وردان46.

كان قالون أصماً لا يسمع البوق. وكان إذا قرأ عليه قارئ فإنه يسمعه. وقال ابن أبي حاتم: "كان أصم، يُقرئ القراء ويَفهم خطأهم ولحنهم بالشفة. وسمعت علي بن الحسين يقول: كان عيسى بن مينا قالون أصم شديد الصمم. وكان يقرأ عليه القرآن، وكان ينظر إلى شفتي القارئ، ويرد عليه اللحن والخطأ47".

ثانياً : مكانته وشيوخه ووفاته

---

46 – معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق :شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،ط2 ،1408هـ.1/155،156، وانظر : ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق : محمد علي البجاوي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي 3/327، وانظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق :شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،ط7 ،1410هـ.10/326، غاية النهاية في طبقات القراء ، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2 ،1402هـ.1/615،616، والأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء)، خير الدين الزركلي ،ط3.5/110.

47 – سير أعلام النبلاء 10/326.

هو أحد رواة القراء السبعة وقد انتهت إليه الرياسة في علوم العربية والقراءة في زمانه بالحجاز ، وكانت له مكانة خاصة عند شيخه نافع ، وقد قرأ عليه سنة خمسين بعد المائة غير مرة وكتبها في كتابه[48].

وقد قرأ على شيخه نافع ، وقيل له : كم مرة قرات على نافع؟ قال : ما لا أحصيه كثرة ، إلا أنني جالسته بعد الفراغ عشرين سنة ، كما قرأ على أبي جعفر (يزيد بن القعقاع) وعيسى بن وردان وغيرهم49.

وقد روى القراءة عنه خلق كثير ، منهم : إبراهيم بن الحسين الكسائي ، وإبراهيم بن محمد المدني ، وأحمد بن صالح المصري، وأحمد بن يزيد الحلواني،وإسماعيل بن إسحق القاضي ، والحسن بن علي الشحام ، والحسين بن عبد الله المعلم ، وسالم بن هارون أبو سليمان ، وعبد الله بن عيسى المدني وغيرهم.

وقد روى الحديث عن محمد بن جعفر بن أبي كثير وعبد الرحمن بن أبي الزناد ونافع بن أبي نُعيم وآخرين ، بينما روى عنه : إسماعيل القاضي وأبو زرعة الرازي وابن ديزيل وموسى بن إسحق الأنصاري وأحمد بن صالح وأبو نشيط وموسى بن إسحق وعلي الهسجاني وآخرون.

توفي قالون – رحمه الله – سنة (220 هـ) عشرين ومائتين على الصواب وقد عُمِّرَ مائة سنة50.

---

[48] – معرفة القرّاء الكبار 97/1، وانظر:الإرشادات الجلية في القراءات السبع من طريق الشاطبية ، محمد سالم محيسن،مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، ط1 ، 1405هـ،ص8 ، والمستنسر في تخريج القراءات المتوترة من حيث اللغة والإعراب والتفسير، محمد سالم محيسن،مكتبة جمهورية مصر،ط1 ،1396هـ،ص8.

49 – غاية النهاية 615/1.

50 – ميزان الاعتدال 327/3، سير أعلام النبلاء 326/10.

ثالثاً ـ منهجه:

للإمام نافع في القراءة اختياران ، أو منهجان ، أقرأ قالون بأحدهما وورشاً بالآخر،

فمنهج الإمام قالون كالآتي[51]:

1- إثبات البسملة بين كل سورتين ، إلا بين الأنفال وبراءة فله ثلاثة أوجه ، القطع ، السكت ، الوصل ، والثلاثة من غير البسملة .

2- قصر المد المنفصل وتوسطه أربع حركات .

3- إدغام الذال في التاء في اتخذتم وشبيهاتها .

4- ضم ميم الجمع مع صلتها بواو إن كان بعدها حرف متحرك سواء كان همزة أم غيرها نحو (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ) وله القراءة بصلة الميم وعدمها .

5- تسهيل الهمزة الثانية من الهمزتين المجتمعتين في كلمة ، مع إدخال ألف بينهم بمقدار حركتين نحو : ءَأَنتم ، أئنكم ، أُؤنبئكم .

6- إسقاط الهمزة الأولى من الهمزتين المجتمعتين في كلمتين ، الهمزة الأولى آخر الكلمة الأولى ، والهمزة الثانية أول الكلمة الثانية ، إذا كانت الهمزتان متفقتي الحركة مفتوحتين مثل (ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ) .

أما إذا كانتا متفقتي الحركة مكسورتين أو مضمومتين فإنه يسهل الهمزة الأولى نحو (هَؤُلاَء إِنْ كُنتُمْ) ، (أَولِيَاءُ أُوْلَئِكَ).

---

[51] – انظر : معرفة القراء الكبار 158/1، سلسلة القراء لمن أراد الإقراء (قالون) ، طه عبده عبده ، دار القمة ودار الإيمان للنشر والتوزيع ، القاهرة د.ط ، د.ت، والبدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة ، عبد الفتاح عبد الغني ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، ط2،ص10.

فقالون يسهل الهمزة الأولى وليس له في الهمزة الثانية في الأحوال الثلاثة إلا التحقيق ، أما إذا كانت الهمزتان مختلفتي الحركة ، فإنه يسهل الثانية منهما بين بين ، نحو (وَجَاءَ إِخْوَةُ)، (جَاءَ أُمَّةً) في حالة الأولى مفتوحة والثانية مكسورة ، أو الثانية مضمومة ، ويبدلها ياء خالصة إذا كانت الأولى مكسورة والثانية مفتوحة نحو (مِنْ السَّمَاءِ آيَةً) ويبدلها واو خالصة إذا كانت الأولى مضمومة والثانية مفتوحة نحو (لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ) ويبدلها واواً ، أو ، يسهلها بين بين إذا كانت الأولى مضمومة والثانية مكسورة نحو (يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى) وليس له في الأولى من المختلفين إلا التحقيق في الأنواع جميعها .

7- تقليل لفظ ألف التوراة بخلف عنه في جميع القرآن ، ولا إمالة له إلا في هذه الكلمة (هار) في (شَفَا جُرُفٍ هَارٍ) في سورة التوبة .

8- فتح ياء الإضافة إذا كان بعدها همزة مفتوحة أو مكسورة أو مضمومة نحو (إِنِّي أَعْلَمُ) و (فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ) و (إِنِّي أُرِيدُ) أو كان بعدها أداة التعريف نحو (عَهْدِي الظَّالِمِينَ) على تفصيل في ذلك .

9- إثبات بعض الياءات الزائدة في الوصل نحو (يَوْمَ يَأْتِ) في هود (ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ) الكهف على تفاصيل محصورة في كتب القراءات[52].

المبحث الأوّل

التوجيه النحوي لرواية الإمام قالون في سورتي الكهف ومريم

---

[52] – البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة ،ص12، وانظر:العنوان في القراءات السبع ، أبو طاهر إسماعيل بن خلف الأنصاري الأندلسي ، تحقيق:زهير زاهد وخليل عطية عالم الكتب، بيروت،ط1406،2هـ،ص43.

وفيه مطلبان

المطلب الأول: التوجيهات النحوية لرواية الإمام قالون في سورة الكهف .

1- قوله :" ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ " قرأ قالون بتنوين (مائة) فلم يضفها إلى (سنين) ، وحجته أن هذا العدد إنما يبين بواحد يضاف إليه ، وليس المستعمل فيه أن يضاف إلى جمع ، إلا أن يكون فيما دون العشرة ، فلما لم يضف نوّن (مائة) وجعل (سنين) بدلاً من (ثلاث مائة)53 ، وكلمة { سِنِينَ } [الكهف : 25] في القراءة بتنوين { مِأْئَةٍ } [منصوب لكن اختلفوا في توجيه ذلك فقال أبو البقاء وابن الحاجب : هو منصوب على البدلية من { ثلثمائة } وقال الزمخشري : إنه عطف بيان لثلاثمائة ، وبما نقل في المفصل عن الزجاج أنه يلزم أن يكونوا لبثوا تسعمائة سنة ، قال ابن الحاجب : ووجهه أنه فهم من لغتهم أن مميز المائة واحد من مائة كما إذا قلت مائة رجل فرجل واحد من المائة فلو كان سنين تمييزاً لكان واحداً من ثلاثمائة وأقل السنين ثلاثة فكان كأنه قيل ثلاثمائة ثلاث سنين فيكون تسعمائة سنة .
وقد صرح الخفاجي أن ذلك كتقابل الجمع بالجمع ، وجوز الزجاج كون { سِنِينَ } مجروراً على أنه نعت، وقال الفراء وأبو عبيدة والزجاج والكسائي : فيه تقديم وتأخير والتقدير سنين ثلثمائة ورجح الأول أبو علي الفارسي[54].

2- قوله :" وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا "قرأ قالون بالياء والرفع وحجته أنه أجراه على لفظ الغيبة ، وجعله نفياً عن الله ، فرده إلى قوله"ما لهم من دونه من ولي"55

---

[53] – البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط1403،2هـ.117/6، وانظر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل ، الزمخشري ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ، 1403هـ . 1983م. 481/2.

[54] – النشر310/2،ابن خالوية 79،البحر المحيط 117/6،غيث النفع155.

[55] – معاني القرآن ، الفراء ، تحقيق : عبد الفتاح إسماعيل شلبي. 139/2.

، وقرأ ابن عامر بالتاء والجزم وحجته أنه أجراه على الخطاب والنهي للإنسان ، أي : لا تشرك أيها الإنسان في حكم ربك أحدا56

3- قوله : "لله الحق"قرأ قالون بالخفض57 ، جعله صفة لله ، وقرأ أبو عمرو والكسائي بالرفع 58، جعلاه صفة للولاية.

4- قوله :" وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ " قرأ الكوفيون ونافع بالنون ونصب الجبال وكسر الياء59

وقرأ الباقون بالتاء وفتح الياء ورفع الجبال60.

وحجة نافع أنه بناه على الإخبار من الله عن نفسه وانتصب الجبال لوقوع الفعل عليها 61، وحجة من قرأ بالتاء أنه بنى الفعل للمفعول ، فرفع الجبال لقيامها مقام الفاعل ، فهي نائب فاعل62.

5- قوله : " لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا " قرأ قالون بتاء مضمومة وكسر الراء ونصب (الأهل)63، وقرأ حمزة والكسائي بفتحهما ورفع (الأهل)64، وحجة قالون أنه أجراه مجرى الخطاب للخضر من موسى 65، وحجة من فتح أنه أضاف (الغرق) إلى

---

56 – التيسير في القراءات السبع ، أبو عمرو عثمان بن سعد الداني ، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط1406،2هـ.ص143، وانظر : إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ، الشيخ أحمد بن محمد الدمياطي الشهير بالبناء ، طبعه ونشره : عبد الحميد أحمد حنفي ، مصر ، القاهرة. ص289، والبحر المحيط 117/6.

57 – النشر في القراءات العشر ، الحافظ شمس الدين محمد بن محمد الجزري، صححه : محمد علي محمد الصباغ ، دار الكتب العلمية ، بيروت. 311/2 ، وانظر : التيسير ص143.

58 – إتحاف الفضلاء ص290،291، وانظر : غيث النفع في القراءات السبع ، الصفاقسي ، مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ط3، 1371هـ. ص279.

59 – النشر 311/2.

60 – التيسير ص144، إتحاف الفضلاء ص291.

61 – البحر المحيط 134/6.

62 – التبيان للطوسي 47/7.

63 – التيسير ص144.

64 – السبعة في القراءات ، أبو بكربن مجاهد، تحقيق : شوقي ضيف، دار المعارف ، القاهرة ، مصر. ص395.

65 – البحر المحيط 149/6، التيسير ص144، المعاني للفراء 155/2.

(أهل) بمنزلة : مات زيد ، والأهل فاعلون ؛ لأنهم مخبر عنهم ولأنه أمر دخل عليهم من غير اختيار منهم له[66].

6- قوله : " فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى " قرأ قالون (جزاءُ)بالرفع من غير تنوين [67]وقرأ حمزة والكسائي بالنصب والتنوين[68].

وحجة قالون أنه جعله مبتدأ و(له) الخبر[69]، وحجة من نصب ونوّن أنه جعل (الحسنى) مبتدأ و(له) الخبر ، ونصب جزاء على أنه مصدر في موضع الحال[70] ، والتقدير : فله الحال الحسنى جزاء ، وقيل هو تفسير ، وقيل تمييز[71]. ويرى الباحث أنّ وجه النصب ضعيف لتقديمه التفسير على المفسر ، فالرفع أبين.

7- قوله :" جعله دكاء" قرأ قالون بالقصر[72] وقرأ الكوفيون بالمد [73]، وحجة قالون أنه جعله مصدر دكة ودل جعله على دكة فعمل في (دكا) ، ويجوز أن يكون مفعولاً به على تقدير حذف مضاف أي : جعله ذا دك ، ويجوز أن يكون نصبه على الحال ، فيكون مصدرا في موضع الحال ، أي : جعله مدكوكا .وحجة من مدّ قدّر حذف مضاف ، تقديره : جعله مثل دكاء[74].

---

[66] –إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب ، العكبري.285/2.

[67] – السبعة ص398.

[68] – النشر 315/2.

[69] – إتحاف الفضلاء ص294.

[70] – معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم ، محمد سيد طنطاوي ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ط1، 1997م ، ص393.

[71] – زاد المسير 186/5.

[72] – الغيث للصفاقسي ص283.

[73] – النشر 271.

[74] – تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، تحقيق سامي محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، 1420هـ . 1999م.105/3، الإعراب للنحاس296/2، المعاني للفراء160/2.

المطلب الثاني : التوجيهات النحوية لرواية الإمام قالون في سورة مريم.

1- قوله:" يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ" قرأ قالون برفعهما وقرأ أبو عمرو والكسائي بالجزم75. وحجة قالون أنه جعل (يرثني) صفة لـ(ولي) ؛ لأنه إنما سأل زكريا ولياً وارثاً علمه ونبوته ، فليس المعنى على الجواب ؛ لأن الولي يكون غير وارث ، فليس المعنى : إن وهبت لي غلاماً يرثني76. وحجة من جزم أنه جعل (يرثني) جواباً للطلب ، فجزمه وعطف عليه (يرث) 77 .والباحث يميل إلى الرفع ؛ لأن (وليا) رأس آية ، فاستغنى الكلام عن الجواب.

2-قوله :" لِأَهَبَ لَكِ" قرأ قالون بالهمز وقرأ ورش وأبو عمرو بالياء78، وحجة من همز أنه أسند الفعل إلى الذي خاطب مريم وهو جبريل عليه السلام ، وتقديره :إنما أنا رسول ربك لأهب أنا لك غلاماً بأمر ربك أو من عند ربك ، فالهبة من الله على يد جبريل79. وحجة من قرأ بالياء أنه احتمل أن يكون أراد الهمزة ولكن خففها فأبدل منها ياء لانكسار ما قبلها ، ويجوز أن تكون الياء للغائب ، فأجراه على الإخبار من الرب تعالى ذكره ، لتقدم ذكره ، فالمعنى : إنما أنا رسول ربك ليهب لك ربك غلاما80.

3-قوله :" من تحتها" قرأ نافع وحفص وحمزة والكسائي بكسر الميم والتاء الثانية ، وقرأ الباقون بفتحهما.وحجة من كسر أنه حمله على معنى :أنّ عيسى كلمها وهو تحتها ، فجعل (من) حرف جر وخفض بها (تحتها). وحجة من فتح أنه جعل (من) الفاعل للنداء ، ونصب (تحتها) على الظرف81.

---

[75] – إتحاف الفضلاء ص297.

[76] – البحر المحيط 174/6.

[77] – الإعراب للنحاس 2/ 302.303.

[78] – إتحاف الفضلاء ص298، النشر 317/2.

[79] – إعراب القرآن الكريم وبيانه ، محي الدين الدرويش ، مكتبة اليمامة ، بيروت ، ط10، 1430هـ 2009م ، 567/4.

[80] – تفسير النسفي 31/3.

[81] – النشر 318/2 ، إتحاف الفضلاء ص298، تفسير النسفي32/3، الإملاء للعكبري61/2.

4- قوله :" قَوْلَ الحَقِّ" قرأ قالون بالرفع (قولُ)وقرأ ابن عامر وعاصم بالنصب82. وحجة من رفع أنه أضمر مبتدأ ، وجعل (قول الحق) خبره ؛ لأنه لما قال :"ذلك عيسى بن مريم" صار معناه : هذا الكلام قول الحق ، وحجة من نصب أنه نصبه على المصدر ، أعمل فيه ما دلّ عليه الكلام ؛ لأنّ قوله :"ذلك عيسى بن مريم" يدلّ على (أحق ذلك) فكأنّه قال : أحق قول الحق83.

5- قوله :" وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ" قرأ قالون بفتح الهمزة وقرأ الكوفيون وابن عامر بكسرها . وحجة من فتح أنه عطفها حملاً على معمول (وأوصاني) أي : أوصاني بالصلاة والزكاة وبأن الله ربي وربكم. وحجة من كسرها أنه جعل الكلام مستأنفاً مبتدأ ، فكسر لذلك84.

المبحث الثاني

التوجيه الصرفي لرواية الإمام قالون في سورتي الكهف ومريم

وفيه مطلبان

المطلب الأول : التوجيهات الصرفيِّة لرواية الإمام قالون في سورة الكهف.

1- قوله :"مرفقاً" قرأ نافع وابن عامر بفتح الميم وكسر الفاء ، وقرأ الباقون بكسر الميم وفتح الفاء ، وهما لغتان ، والمرفق بكسر الميم المصدر كالمرفق ، وكان

---

82 – النشر2/318، التيسير ص149.

83 – الكشاف 509/2 ، وانظر : تفسير ابن كثير 120/3.

84 – إتحاف الفضلاء ص299.

القياس فتح الميم ؛ لأنه فعل يفعُل [85]، ولكنه جرى نادراً كالمرجع والمحيض ، قال الأخفش : مرفقاً بالكسر هو شيء يرتفقون به وبالفتح اسم كالمسجد[86].

2- قوله :"تزاور" قرأ قالون بألف مشدداً وقرأ الكوفيون بالتخفيف وقرأ ابن عامر بتشديد الراء من غير ألف. وحجة من قرأ بالألف والتخفيف أنه بناه على (تزاورت) فهي تزاور وأصله تتزاور ، فحذف إحى التاءين تخفيفاً.وحجة من شدد وقرأ بألف أنه بناه على (تزاورت) أيضا كالأول ثم أدغم إحدى التاءين في الزاي، وحجة من قرأ بغير ألف على وزن (تحمرّ) فهي تزورّ ك(احمرت) فهي (تحمر) والمعنى : وترى الشمس إذا طلعت تتقبض عنهم ، ومعنى (تزاور) تميل ؛ لأنها إذا مالت فقد انقبضت[87].

3- قوله :" وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا" قرأ قالون بالتخفيف (لملِئت)وقرأ الحرميان بالتشديد (لملِّئت)، وهما لغتان والتخفيف أكثر لأنَّ الجماعة عليه ولأنَّه اللغة المشهورة المستعملة[88].

4- قوله :" وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ " و" بِثَمَرِهِ" قرأ عاصم بفتح التاء والميم وقرأ أبو عمرو بضم التاء وإسكان الميم وقرأ الباقون بضمهما معاً. وحجة من فتح التاء والميم أنَّه جعله جمع (ثمرة) كبقرة وبقر[89] ، وحجة من ضم الثاء والميم أنه جعله جمع ثمار،

---

[85] – تصريف الأسماء في اللغة العربية ، شعبان صلاح ، دار غريب للنشر والطباعة ، القاهرة ، ط2،ص20.

[86] – المعاني للأخفش 394/2، المعاني للفراء 136/2، البحر المحيط 107/6، الإملاء للعكبري54/2، التلخيص في القراءات الثمان للطبري ص316.

[87] – النشر 310/2، إتحاف الفضلاء ص288، الإعراب للنحاس269/2.

[88] – الغيث للصفاقسي ص278، إتحاف الفضلاء ص288 ، الكشاف 476/2، البحر المحيط 110/6.

[89] – شرح كافة ابن الحاجب ، رضي الدين الأستراباذي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 1419هـ 1998م 435/3،

وثمار جمع ثمر وثمر جمع ثمرة ، فهو جمع الجمع ، وحجة من ضم الثاء وأسكن الميم أنه أسكن الميم للتخفيف وأصلها الضم[90].

5- قوله :" الولاية" حمزة والسائي بكسر الواو قرأ قالون والباقون بفتحها. وحجة من كسر أنه جعله كالجباية والكتابة والإمارة والخلافة ، وحجة من فتح أنه جعله مصدر الولي، ومعناه عند أبي عبيد : التولي ، قال يونس : ما كان لله فهو ولاية بالفتح من الولاية في الدين ، وما كان من ولاية الأمر فهو بالكسر ، وقال بعض أهل اللغة : الولاية بالفتح النصروالبكسر ولاية السلطان[91].

6- قوله :" وخير عقبا" قرأ عاصم وحمزة بإسكان القاف ، وضمها قالون والباقون ، والأصل الضم ، والإسكان تخفيف كالعنُق والعنْق والطنُب والطنب[92].

7- قوله :" الْعَذَابُ قُبُلًا " قرأه الكوفيون ضمتين وقرأ قالون والباقون بكسر القاف وفتح الباء. وحجة من كسر القاف أنه حمله على معنى المقابلة ، حكى أبو زيد : لقيت فلاناً قُبُلاً ومُقابلةً وقُبْلاً وقبلاً وقبيلاً وقبلياً كله بمعنى : مقابلةً ، أي : عياناً[93] ، فالمعنى في الآية :أن يأتيهم العذاب مقابلة يرونه. وحجة من ضم أنه يجوز أن يكون معناه الكسر ، على ما حكى أبو زيد ، ويجوز أن يكون جمع قبيل ، على معنى : أو يأتيهم العذاب قبيلاً قبيلاً ، أي : صنفاً صنفاً[94].

8- قوله :" لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا " وقرأ قالون بضم الميم وفتح اللام الثانية ، وقرأ حفص بفتح الميم وكسر اللام الثانية. وحجة قالون أنه جعله مصدراً لـ (أهلك

---

[90] – النشر 310/2، ، إتحاف الفضلاء ص290، وانظر: القراءات وأثرها في علوم العربية ، محمد سالم محيسن ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1418هـ ،658/1.

[91] – تفسير الطبري 164/15، النشر 277/2.

[92] – البحر المحيط 131/6، التبيان للطوسي 45/7، إتحاف الفضلاء ص 290.

[93] – إعراب القرءات السبع وعللها ، ابن خالويه ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط1 ، 1413هـ 1992م ، 399/1، وانظر : معجم اللغة العربية المعاصرة ، أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط1 ، 2008م ، 1770/3.

[94] – إتحاف الفضلاء ص 292، السبعة ص393.

يهلك) فهو من بابه وهومتعد بلا شك ، وهو مضاف إلى المفعول به لا غير ، تقديره: وجعلنا لإهلاكهم موعدا ، وحجة من فتح الميم وكسر اللام أنه جعله مصدرا لـ (هلك) وقد أتى نادرا (مفعل) من فعل يفعل ، كما قالوا : المرجع مصدر من رجع يرجع كالرجوع[95].

9- قوله : " مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا" قرأ قالون بضم الراء وإسكان الشين96 ، وقرأ أبو عمرو بفتحهما 97، وهما لغتان : الرَّشَد والرُّشْد.

10- قوله :" نَفْسًا زَكِيَّةً " قرأ الكوفيون وابن عامر بتشديد الياء من غير ألف ، وقرأه قالون والباقون بألف بعد الزاي مخففاً. وحجة من قرأ بدون ألف مشدد الياء أنه بناه على (فعيلة) على معنى (نامية)، وقيل معناه التي لم تبلغ الخطايا ، وقيل معناه مطهرةً وقيل : زكيةً وزاكيةً لغتان بمعنى : صالحةً تقيةً ، وحجة من قرأ بألف أنها لغة في : (زاكية وزكية) بمعنى ، وقيل : معناه لا ذنب لها[98].

11- قوله :"نكراً" قرأه نافع وابن ذكوان وأبو بكر بضم الكاف ، وقرأ الباقون بإسكان الكاف.وهما لغتان كالشغُل والشغْل[99]، والسحُت والسحْت.والذي يميل إليه الباحث الإسكان لأن فيه تخفيفاً.

12- قوله : "لتخذت" قرأ ابن كثير وأبو عمرو بتخفيف التاء وكسر الخاء، وقرأ قالون والباقون بتشديد التاء وفتح الخاء. وحجة من فتح أنه جعله من (تخذت أتخذ) على وزن (فعلت أفعل) فأدخل اللام التي هي لجواب (لو) على التاء التي هي فاء الفعل ، واتخذ على وزن افتعل ، وافتعل مطاوع (فَعِل أو فَعَل) ، فدلّ

---

[95] – النشر 2/ 311، إتحاف الفضلاء ص 292، السبعة ص393.

[96] – السبعة ص394.

[97] – النشر 311/2، إتحاف الفضلاء ص292.

[98] – إتحاف الفضلاء ص 292، السبعة ص395، الكشاف 493/2،زاد المسير172/5.

[99] – لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (نكر) 282/14، السبعة ص395، الكشاف 493/2 ، البحر المحيط150/6، وانظر: دراسات لغوية مقارنة ، إسماعيل أحمد عمايرة ، دار وائل للنشر ، الأردن ، ط1،ص154.

على أنّ الثلاثي (تخذ). وحجة من شدد أنه بناه على(افتعل)، وقيل : هو من (أخذ) بني على (افتعل) فصار (أيتخذ) ، فأبدل من الهمزة الساكنة ياء ثمّ أدغمت الياء في التاء لئلا تتغير الهمزة في البدل في الماضي والمستقبل واسم الفاعل ، فأبدلوا من الياء حرفاً من جنس ما بعدها وهو تاء فأدغموا التاء في التاء فصار اتخذ[100].

13- قوله :" يُبْدِلَهُمَا" قرأ نافع وأبو عمرو بالتشديد ، وقرأ الباقون بالتخفيف ، وهما لغتان بمعنى : بدل وأبدل ، مثل نجا وأنجا ، ونزل وأنزل، وقد قيل : (بّل) بالتشديد هو : الذهاب بالشيء والإتيان بغيره و(أبدل) يأتي للإتيان بالشيء وبقاء المبدل منه[101].

14- قوله : " فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ "قرأ قالون (حمئة) على وزن (فعلة) مهموزاً وقرأ ابن عامر وأبو بكر وحمزة والكسائي(حاميةً) على وزن (فاعلةً) غير مهموز. وحجة من همز أنه جعله مشتقاً من (الحمأة) أي : ذات حمأة ، وحجة من قرأ بغير همزة أنه جعله اسم فاعل ، فبناه على فاعلة مشتقاً من : (حمي يحمى) فهو في المعنى : في عين حارة[102].

15- قوله :"السدين" و"سدا" قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر (سدا) بضم السين وفتح الباقون ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (السدين) بالفتح ، وضم قالون والباقون ، قال أبو عبيد : كل شيء من فعل الله كالجبال والشعاب فهو سد بالضم ، وما بناه

---

[100] – السبعة ص366، إتحاف الفضلاء ص294.

[101] – النشر 314/2، السبعة ص397.

[102] – البحر المحيط 159/6، التيسير145 ، شذا العرف في فن الصرف ، أحمد الحملاوي ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، د.ط،د.ت. ،ص76.

الآدميون فهو سد بالفتح. وقد قيل : الفتح يراد به المصدر والضم يراد به الاسم كالغَرفة والغُرفة[103].

16- قوله " يَفْقَهُونَ قَوْلًا " قرأ قالون بفتح الياء والقاف 104، وقرأ حمزة والكسائي بضم الياء وكسر القاف105. وحجة قالون أنه جعله فعلاً ثلاثياً يتعدى إلى مفعول واحد هو القول ، يقال : فقهت الشيء106 ، وحجة من قرأ بالضم أنه جعل الفعل رباعيا فعدّاه إلى مفعولين ، أحدهما محذوف ، والتقدير : لا يكادون يفقهون الناس قولا ، أو يفقهون أحداً قولاً107.

17- قوله :"خرجاً" قرأ قالون بغير ألف وقرأ حمزة والكسائي بألف. وحجة من قرأه بغير ألف أنه جعله مصدر (خرج) هو الجعل ، كأنهم قالوا : نجعل لك جعلاً ندفعه إليك الساعة من أموالنا مرةً واحدةً على أن تبني بيننا وبينهم سداً ، وحجة من قرأ بألف أنه جعله من الخراج الذي يضرب على الأرض في كل عام ، أي : فهل نجعل لك أجرة نؤديها إليك في كل وقت تتفق عليه كالجزية على أن تبني بيننا وبينهم سداً ، فالخراج ما يؤدى في كل شهر أو في كل سنة[108].

والذي يراه الباحث : القراءة بدون ألف (خرج) ؛ لأن الخرج يؤدى مرة واحدة ، ولأنهم إنما عرضوا عليه أن يعطوه أجرةً أو عطيةً من أموالهم مرةً واحدةً معروفةً على بنيانه.

---

[103] – النشر 315/2، إتحاف الفضلاءص294 ، وانظر:المنجد في اللغة ، أبو الحسن الهنائي، تحقيق : أحمد مختار عمر وضاحي عبد الباقي، عالم الكتب ، القاهرة ، ط2، 200م ، ص224.

[104] – البحر المحيط 163/6.

[105] – التيسير ص145 ، النشر 315/2.

[106] – زاد المسير 190/5.

[107] – التبيان للطوسي79/7.

[108] – النشر 315/2، التيسير ص146.

18- قوله :" مَا مَكَنِّي" قرأ قالون بنون مشددة على الإدغام استخفافاً لاجتماع مثلين متحركين في كلمة 109، وقرأ ابن كثير نونين ظاهرتين وخف عليه ذلك لتحركهما ولأن الثاني من المثلين غير لازم ، كما قالوا : اقتتلوا110.

19- قواله :" فَمَا اسْتطَاعُوا أَنْ " قرأ حمزة بتشديد الطاء وقرأ قالون والباقون بتخفيفها . وحجة من شدد أنه أدغم التاء في الطاء؛ لقربهما في المخرج ، ولأنه أبدل من التاء التي أدغمها حرفاً أقوى منها وهو الطاء ، وحجة من خفف أنه أنه لما كان الإدغام يؤدي إلى جواز ما لا يجوز من التقاء الساكنين ليس الأول حرف لين ، لم يمكن إثبات التاء ، إذ ليست في الخط ، ولم يمكن إلقاء حركتها على السين ؛ لأنها زائدة لذا حذفت للتخفيف[111].

المطلب الثاني : التوجيهات الصرفيّة لرواية الإمام قالون في سورة مريم.

1- قوله :" عتيِّاً و جثيِّاً وبكيِّاً وصليِّاً " قرأ قالون بضم أوائلها ، وقرأ حمزة والكسائي بالكسر[112]. وحجة من ضم أنه غيّر الثاني بالكسر لتصح الياء ساكنة ، وترك الأول مضموماً على أصله ، كان جمعاً أو مصدراً . وحجة من كسر أنّ هذه الأسماء جمع (عات وجاث وباك وصال) جمع على فعول ، فأصل الثاني منها الضم لكن كسر لتصح الياء التي بعده ، التي أصلها واو في (عتي وجثي) ؛ لأنّ الياء الساكنة لا يكون قبلها ضمة ، فلما كسر الثاني أُتبع كسرته كسر الأول ، فكسر للإتباع ؛ لذا قالوا : عصي وقسي ، فكسروا الأول على الإتباع وأصله (فعول) [113]. والذي يراه الباحث : الكسر ؛ ليعمل اللسان عملاً واحداً.

---

[109] – الكشاف 499/2.

[110] – التيسير ص146.

[111] – البحر المحيط 165/6/ الكشاف 499/2، النشر 271/2، السبعة ص401.

[112] – النشر 317/2.

[113] – البحر المحيط 175/6.

2- قوله :" لِأَهَبَ لَكِ" قرأ قالون بالهمز وقرأ ورش وأبو عمرو بالياء ، وحجة من همز أنه أسند الفعل إلى الذي خاطب مريم وهو جبريل عليه السلام ، وتقديره :إنما أنا رسول ربك لأهب أنا لك غلاما بأمر ربك أو من عند ربك ، فالهبة من الله على يد جبريل. وحجة من قرأ بالياء أنه احتمل أن يكون أراد الهمزة ولكن خففها فأبدل منها ياء لانكسار ما قبلها ، ويجوز أن تكون الياء للغائب ، فأجراه على الإخبار من الرب تعالى ذكره ، لتقدم ذكره ، فالمعنى : إنما أنا رسول ربك ليهب لك ربك غلاما[114].

3- قوله :" تُسَاقِطْ عَلَيْكِ " قرأ قالون بفتح التاء وفتح القاف مخففة وتشديد السين ، وقرأ حفص بضم التاء وكسر القاف. وحجة قالون أنه أراد (تتساقط) ثم حذف إحدى التاءين ، وتساقط هو مستقبل تفاعل فيكون نصب (رطب) على الحال . وحجة من ضم التاء أنه جعله مستقبل (ساقطت) فعداه إلى الرطب فنصبه به ، أي : تساقط النخلة رطباً جنيا عليك[115].

4- قوله : "مخلصاً" قرأ الكوفيون بفتح اللام ، وقرأ قالون والباقون بكسرها.

وحجة من فتح أنّ الفعل بني للمفعول من (أخلص فهو مخلَص) ؛ لأن الله سبحانه أخلصه ، أي اختاره لعبادته ، وحجة من كسر أن الفعل مبني للفاعل من (أخلص فهو مخلِص) 116، والذي يمطمئن إليه الباحث هو الفتح ؛ لأنه لم يخلص نفسه وإنما الله أخلصه واختاره.

5- قوله :" أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ " قرأ نافع وعاصم وابن عامر بضم الكاف والتخفيف ، وقرأ الباقون بفتح الكاف والتشديد. وحجة من خفف أنه جعله من (

---

[114] – إتحاف الفضلاء ص298، الإعراب للنحاس 308/2، النشر 317/2، تفسير ابن كثير 115/3.

[115] – الكشاف 507/2 ، النشر 318/2 ، إتحاف الفضلاء ص298، تفسير ابن كثير 118/3.

[116] – البحر المحيط 296/5.

الذكر) الذي يكون عقيب النسيان والغفلة ، وحجة من شدد أنه جعله من (التذكر) الذي هو بمعنى التدبر ، فأصله (يتذكر) ثمّ أدغمت التاء في الذال117.

6- قوله :"ثم ننجي" قرأه الكسائي بالتخفيف من (أنجى) وشدد قالون فجعله من (نجّى) وكلاهما بمعنى واللغتان في القراءتين كثير118.

ويرى الباحث التشديد ؛ لأنّ فيه معنى التكرير والتكثير ، كأنه نجاة بعد نجاة.

7- قوله :" خَيْرٌ مَقَامًا " قرأ القالون بفتح الميم وقرأ ابن كثير بضمها.

وحجة من فتح أنه جعله مصدراً أواسم مكان من (قام يقوم) لأنّ المصدر واسم المكان من (فعل يفعُل) على (مَفعَل) ، وحجة من ضم أنه جعله مصدراً أو اسم المكان من (أقام يقيم) لأنّ المصدر منه واسم المكان على (مُفعَل) والقراءتان بمعنى119.

8- قوله:" وولدا" قرأ قالون بفتح الواو واللام وقرأ حمزة والكسائي بضم الواو وإسكان اللام. وحجة قالون أنها اللغة المشهورة ، وحجة من ضم الواو أنه جمع (ولد)[120] كقولهم : وثَن ووُثْن ، وأسَد وأُسْد ، قال الأخفش : الولد بالفتح الابن والابنة وبالضم الأهل ، وقيل هما لغتان121.

9- قوله : " تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ " قرأ نافع والكسائي (يكاد) بالياء ، وقرأها الباقون بالتاء ، وقرأ أبو بكر وأبوعمرو وحمزة وابن عامر بالنون والتخفيف وقرأها الباقون بالتاء والتشديد.وحجة من قرأ بالنون مخففاً أنه جعله مطاوع (فطر) ،

---

[117] – إتحاف الفضلاء ص300، الإعراب للنحاس 321/2.

[118] – النشر 259/2، السبعة ص411،الكشاف 20/2.

[119] – الحجة في القراءات السبع ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه ، تحقيق : عبد العال سالم مكرم، دار الشروق ، بيروت ، ط2 ،1397هـ.ص446، السبعة ص411، إتحاف الفضلاء ص300.

[120] – الإفصاح في فقه اللغة ، حسين يوسف موسى وعبد الفتاح الصعيدي، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط1،2/2.

[121] – النشر 319/2، إتحاف الفضلاء ص300، الإعراب للنحاس 372/2،الإملاء للعكبري ، 64/2.

وحجة من قرأ بالتاء والتشديد أنه جعله مطاوع فطّر ، وفطّر من التكثر ، والتكثير أليق بهذا المعنى؛لأنه موضع مبالغة واستعظام لما قالوا : إنّ لله ولدا ، أما التاء والياء في (تكاد) فيكون التذكير لأن التأنيث غير حقيقي ، والتأنيث حملاً على لفظه ، وتكاد عند الأخفش بمعنى (تريد)122.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات ، وفي ختام هذا العمل العلمي وبعد جولة باحثة في كتب اللغة والنحو والصرف ومعاني القرآن الكريم وقراءاته وتفسيره وإعرابه- لا أستطيع أن أنزّه هذا العمل من الهفوات والعثرات ؛ شأن أيّ جهد يبذله بشر قال تعالى:{أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا}123.

غير أنّي أحسب بعد هذه الجولة أستطيع أن أضع بين يدي القارئ عدداً من النتائج التي يمكن أن ينطلق منها إلى بحث آخر، وأن يحقّق- بعد الوقوف عليها- نتائج أفضل، ودونكم النتائج التي رأيت إثباتها في هذه الخاتمة:

1- ثبت للباحث من خلال الدراسة أنّ الإمام قالون لم يكن راوياً فقط ، بل كان راوياً فاضلاً ومجوداً ، علاوة على ذلك كان عالماً نحويّاً وصرفيّاً فذّاً ؛ لما اشتملت عليه روايته من آراء نحوية وصرفية مؤيدة بالحجج.

2-لقد تنوعت موضوعات النحو التي وردت في سورة الكهف في سبعة أبواب هي: الإضافة والضمير والتوابع وبناء الفعل المضارع ومرفوعات

---

122 - الكشاف 525/2، النشر 319/2.

123- سورة النساء ، الآية 82.

الأسماء ومنصوباتها ، وذلك من خلال سبعة مواضع. بينما كانت موضوعات النحو التي وردت في سورة مريم في سبعة أبواب هي : التوابع وجزم المضارع في جواب الطلب وإسناد الفعل ومجرورات الأسماء وأنواع الفعل بحسب الزمن ومرفوعات الأسماء وفتح همزة (إنّ) وكسرها، وذلك من خلال خمسة مواضع.

3-لقد تعددت موضوعات الصرف التي وردت في سورة الكهف وتمثلت في ستة أبواب هي : المصدر وتاء الافتعال والتخفيف وتعدِّي الفعل والجمع والاشتقاق ، وذلك من خلال تسعة عشر موضعاً. بينما كانت موضوعات الصرف التي وردت في سورة مريم في خمسة أبواب هي : المصدر وإسناد الفعل والاشتقاق والتخفيف والجمع ، وذلك من خلال تسعة مواضع.

وبعد هذه النتائج أوصي بأن تتجه الدراسات النحويَّة والصرفيَّة التطبيقيَّة نحو النص القرآني ، من خلال قراءاته ؛ لقطف ثمراته واستخراج كنوزه.

المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم.

2- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ، الشيخ أحمد بن محمد الدمياطي الشهير بالبناء ، طبعه ونشره : عبد الحميد أحمد حنفي ، مصر ، القاهرة.

3- الإتقان في علوم القرآن ، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث ، القاهرة ط1 ، 1405هـ.

4- الإرشادات الجليَّة في القراءات السبع من طريق الشاطبيَّة ، محمد سالم محيسن،مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ، الإسكندريَّة ، ط1 ، 1405هـ.

5- إعراب القرآن الكريم وبيانه ، محي الدين الدرويش ، مكتبة اليمامة ، بيروت ، ط10، 1430هـ 2009م.

6- إعراب القراءات السبع وعللها ، ابن خالويه ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط1 ، 1413هـ 1992م.

7- الإفصاح في فقه اللغة ، حسين يوسف موسى وعبد الفتاح الصعيدي، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط2،د.ت.

8- الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء)، خير الدين الزركلي ،ط3، د.ت.

9- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب ، العكبري ، د.ط،د.ت.

10- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبيَّة والدرة ، عبد الفتاح عبد الغني ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، ط2،د.ت.

11- البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط1403،2هـ.

12- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة ، عبد الفتاح بن عبد الغني القاضي ، مكتبة الدار بالمدينة المنورة ، ط1، 1404هـ.

13- تصريف الأسماء في اللغة العربية ، شعبان صلاح ، دار غريب للنشر والطباعة ، القاهرة ، ط2، د.ت.

14- تفسير البغوي المسمى : معالم التنزيل ، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي ، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار ، دار المعرفة ، بيروت ، ط1 ،1406هـ.

15- تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، تحقيق سامي محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، 1420هـ . 1999م.

16- التلخيص في القراءات ، أبو معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري ، تحقيق: محمد حسن عقيل موسى ، ط1412،1هـ . 1992م.
17- التيسير في القراءات السبع ، أبو عمرو عثمان بن سعد الداني ، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط1406،2هـ.
18- الحجة في القراءات السبع ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه ، تحقيق : عبد العال سالم مكرم، دار الشروق ، بيروت ، ط2 ،1397هـ.
19- دراسات لغويَّة مقارنة ، إسماعيل أحمد عمايرة ، دار وائل للنشر ، الأردن ، ط1،د.ت.
20- السبعة في القراءات ، أبو بكر بن مجاهد، تحقيق : شوقي ضيف، دار المعارف ، القاهرة ، مصر، د.ط،د.ت.
21- سلسلة القراء لمن أراد الإقراء (قالون) ، طه عبده عبده ، دار القمة ودار الإيمان للنشر والتوزيع ، القاهرة د.ط ، د.ت.
22- سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق :شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،ط7 ،1410هـ.
23- شذا العرف في فن الصرف ، أحمد الحملاوي ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، د.ط،د.ت.
24- شرح كافية ابن الحاجب ، رضي الدين الأستراباذي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 1419هـ 1998م.
25- العنوان في القراءات السبع ، أبو طاهر إسماعيل بن خلف الأنصاري الأندلسي ، تحقيق:زهير زاهد وخليل عطية عالم الكتب، بيروت،ط1406،2هـ.
26- غاية النهاية في طبقات القراء ، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2 ،1402هـ.
27- غيث النفع في القراءات السبع ، الصفاقسي ، مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ط3، 1371هـ.
28- القراءات وأثرها في علوم العربيَّة ، محمد سالم محيسن ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1418هـ.

29- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل ، الزمخشري ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ، 1403هـ . 1983م.
30- لسان العرب ، ابن منظور ، د.ط ، د.ت.
31- لطائف الإشارات لفنون القراءات ، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلانيُّ المصريُّ الشافعيُّ ، تحقيق : عامر السيد عثمان والدكتور عبد الصبور شاهين ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة، 1392هـ.
32- المستنسر في تخريج القراءات المتوترة من حيث اللغة والإعراب والتفسير، محمد سالم محيسن،مكتبة جمهورية مصر،ط1 ،1396هـ.
33- معاني القرآن ، الفراء ، تحقيق : عبد الفتاح إسماعيل شلبي، د.ط ، د.ت.
34- معاني القرآن ، الأخفش.
35- معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبيُّ ، تحقيق :شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،ط2 ،1408هـ.
36- معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم ، محمد سيد طنطاوي ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ط1، 1997م.
37- معجم اللغة العربية المعاصرة ، أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط1 ، 2008م.
38- المنجد في اللغة ، أبو الحسن الهنائي، تحقيق : أحمد مختار عمر وضاحي عبد الباقي، عالم الكتب ، القاهرة ، ط2، 200م ، ص224.
39- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق : محمد علي البجاوي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
40- النشر في القراءات العشر ، الحافظ شمس الدين محمد بن محمد الجزري، صححه : محمد علي محمد الصباغ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ط ، د.ت.

(ثُم) ومعانيها في القرآن الكريم عند الزمخشري وغيره من المفسرين

د. هاجر سليمان طه

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

المستخلص:

كلمات مفتاحية: التفاوت، مجازي، التراخي

يتناول البحث حرف العطف (ثم) وما يفيده من معاني في القرآن الكريم، مستفيدا من تحليل الزمخشري لهذا الحرف ومعانيه في تفسيره الكشاف، ويفصّل البحث ما أجمله الزمخشري من معاني (ثم)، كما يناقش البحث مقولات سادت عند المفسرين منها إمكان أن تأتي (ثم) بمعنى الواو فلا تفيد التراخي، أو أن تأتي لترتيب الأخبار، وعارض البحث هذه المقولات. وخلص البحث إلى أن (ثم) لا تقف عند معناها النحوي وإنما تتعداه إلى معانٍ مجازية أخرى.

(ثم) ومعانيها في القرآن الكريم عند الزمخشري وغيره من المفسرين

مدخل:

كنت أثناء دراستي للآيات المتشابهة في القرآن الكريم في بحثي المقدم لنيل درجة الدكتوراة وقفت على إفادة (ثم) لمعانٍ بلاغية، بجانب إفادتها للتراخي الزمني الذي تفيده وضعاً[124] ووجدت علماء المتشابهأشاروا إلى معانيها في التفاوت في الحال، وتشديد التهديد والوعيد وهكذا. وبدا لي في ذلك الوقت أن (ثم) ودلالتها في القرآن الكريم تحتاج إلى درس مستقل يتناول هذا الحرف العاطف في القرآن غير محصور في الآيات المتشابهة، وتنصب المحاولة في هذه الورقة على استجلاء هذه المعاني والدلالات ذات الأبعاد البلاغية، والله الموفق.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة من ارتباطها بالقرآن الكريم، حيث ظل هذا الكتاب المعجز بلغته الرفيعة وبلاغته المدهشة مجالا للنظر إلى خصائص الأسلوب الرفيع، والنظم المحكم، حيث يظل القرآن منبعا لكل جديد ومفيد، إذ هو الكتاب الموصوف بأنه لا تنقضي عجائبُه ولا يخلق على كثرة الرد.

أسئلة الدراسة وفروضها:

يحاول البحث الإجابة عن سؤال يتعلق بحقيقة إمكانية أن تفيد حروف المعاني دلالات مجازية تتجاوز معناها الأصلي، ويتساءل البحث: هل ل(ثم) في القرآن الكريم معنى أو معانٍ أخري سوي معناها الأصلي وهو الترتيب والتراخي الزمني؟

---

[124] التوجيه البلاغي للمتشابه اللفظي في القرآن الكريم، د. هاجر سليمان طه، رسالة دكتوراة غير مطبوعة، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، 2010م. ص112)

وافترض البحث أن ل(ثم) معان مجازية ورجّح الباحث أن تكون التفاسير هي مظنة الظفر بهذه المعاني.

حدود الدراسة ومنهجها:

حددت الدراسة مجالها بالقرآن الكريم كاملا، واعتمدت المنهج التحليلي في النظر في موضوعها.

المبحث الأول:

هل تأتي ثم بمعنى الواو فلا تفيد ترتيبا؟

إن كانت ثم تأتي بمعنى الواو فلا تفيد ترتيبا كما قال بعض العلماء فإن ذلك يهدم القول بمعناها المجازي من أساسه، لأن القول بخروجها إلى معان مجازية مبني على كونها ثابتة على معنى اترتيب وتخرج عن كون الترتيب ترتيبا زمنيا إلى كونه ترتيب في معان أخرى كترتيب العظيم فالأعظم أو االعجيب فالأعجب وهكذا. فقد وردت بعض المواضع في القرآن وغييره حيث لم يكن المذكور بعد ثم تاليا زمنيا في الحقيقة لما بعدها، وهذه المواضع هي التي عضدت القول بأن ثم تفيد الترتييب في أمور أخرى غير الزمن بمعنى أنها تخرج عن الإفادة للترتيب في الزمن إلى الترتيب في معان أخرى على سبيل المجاز. ولذا كان لزاما علينا قبل أن نتكلم عن معاني ثم المجازية أن نثبت أولا أنها لا تاتي بمعنى االواو وأن معنى الترتيب ملازم لها ونسعى في تفنيد غير ذلك من المقولات التي قالت أن ثم قد تاني بمعنى الواو. وقد اعتمدنا في ذلك على رأي العلماء وقوالهم.

(ثم) نحويا، ورأي بعض علماء النحو انها قد تخرج عن الترتيب الزمني:

لم يختلف العلماء على أن (ثم) تفيد الترتيب مع التراخي وهو ما يقف عنده أهل النحو من حَدِّها. فكذا هي عند ابن هشام[125] وقال ابن عقيل : [وثم على تأخره عنه (أي المعطوف عن المعطوف عليه) منفصلاً أي متراخياً عنه... نحو جاء زيد ثم عمرو][126]ومن قبلهما قال ابن جني: [معنى ثم المهلة والتراخي تقول : قام زيد ثم عمرو أي : بينهما مهلة][127]. وقال الزجاجي: [ثم بالضم حرف عطف يدل على أن الثاني بعد الأول وبينهما مهلة][128].

وقد لحظ العلماء أن (ثم) لا تأتي دائماً في هذا المعنى ، ومن هنا بدأ الحديث عن المعاني المجازية لـ (ثم) ، حيث وجدنا أهل النحو تحدثوا في قول أبي نواس :

قل لمن ساد ثم ساد أبوه ** ثم قد ساد قبل ذلك جَدَّه

من حيثُ إن سيادة الجد والأب قبل سيادة الابن في الترتيب الزماني، فعطفت (ثم) السابق على اللاحق ما ينافي معناها في الترتيب الزماني، فمنهم من قال بأن (ثم) هنا، وفي أشباه هذا الموضع الذي لا يجوز فيه أن تعني (ثم) معناها الأصلي في الترتيب، قال بأن معناها الواو. ومنهم الأخفش، قاله في معرض الحديث عن قوله تعالى: ***(وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ)*** (الأعراف 11) ونقله عنه النحَّاس وخطّأه، قال: [قال الأخفش– وهو أحد قولي قطرب– (ثم) هاهنا بمعنى الواو، وهذا القول خطأ على مذهب أهل النظر من النحويين ، ولا يجوز أن تكون ثم بمعنى الواو

---

[125]أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، دار الجيل بيروت، ط5، 1979م. ج3ص363.

[126]شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبد بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري، ت محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، ط20، 1980م. ج3 ص22.

[127]اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني، ت فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، 1972م. ص 92.

[128]حروف المعاني، أبو القاسم عبد الرحمن بناسحق الزجاجي، ت د. علي توفيق، مؤسسة الرسالة بيروت، ط1، 1984م. ص16.

لإختلاف معنييهما][129]وقال البغدادي : [ولو صح جريانها (يعني ثم) مجرى الواو لجاز وقوعها حيثما يصلح معنى الواو... ولكن ذلك غير مقول باتفاق][130]، وكذا نقل الألوسي أن الزجاج تعقب الأخفش في قوله هذا وقال إنه خطأ لا يجيزه الخليل وسيبويه ولا من يوثق بعلمه [لأن (ثم) للشئ الذي يكون بعد المذكور قبله لا غيره][131]. ويبدو قول النحاس والزجاج منطقياً إذ لو صحوضع حرف في مكان الآخر فما الحكمة من تنوع الأدوات وتغايرها ؟؟

وقد فصّل ابن هشام في كتابه المغنى في أمر (ثم)فقال:[حرف عطف يقتضي ثلاثة أمور: التشريك في الحكم والترتيب والمهلة، وفي كل منها اختلاف][132] وفي الخلاف في اقتضائها الترتيب ذكر ابن هشام أن هناك من قال بأنها لا تقتضيه مستشهدا بقوله تعالى: (خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها) (الزمر39) وبغيرها من الآيات، وموضع الشاهد لهم في الآية أنّ خلق الزوج وهي حواء سابق في الزمان لخلق البشر المقصود في (خلقكم) فلا ترتيب هنا.

ولكن ابن هشام أورد ردودا على كل الشواهد التي جاء بها من قالوا بعدم اقتضائها الترتيب، وما يهمنا أنه أشار إلى إمكان أن يكون القصد ليس ترتيبا في الزمان وإنما ترتيب في القدر والحال، قال:[الرابع: أن خلق حواء من آدم لمّا لم تجرِ

---

[129]معاني القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المعروف بالنحاس، ت محمد على الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ، ط1، 1409هـ. ج3 ص12.

[130]خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، ت محمد نبيل طريفي و أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م. ج11 ص40.

[131]روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني. شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي، بيروت. ج8 ص86.

[132]مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، أبو محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، ت د. مازن المبارك ومحمد علي حمد، دار الفكر بيروت، ط6، 1985م. ص158.

العادة بمثله جيء بثم إيذانا بترتبه وتراخيه في الإعجاب وظهور القدرة لا لترتيب الزمان وتراخيه][133].

وبذا يكون ابن هشام قد أشار إلى احتمال (ثم) للمجاز في معناها، ولكنه بعد ذلك رجع إلى ترجيح أن تكون (ثم) في تلك الشواهد لترتيب الأخبار، وهو قول لجأ إليه كثير من العلماء والمفسرين في تخريج المواضع التي يظهر فيها أن (ثم) لا تفيد ترتيبا زمانيا، وهو قول ينقض كل احتمال لأن يكون لهذا الحرف معنى مجازيا، وسوف نأتي على هذا الرأي ونفنده.

ابن جني يفندّ القول بورود حرف مكان آخر:

وبالنظر إلى ما قيل عن ورود (ثم) بمعنى الواو وهو ما يخرجها عن معانيها المجازية. فإن الاعتراضات التي نقلناها آنفاً ليست هي كل ما يُرَدُّ بهعلى هذا الزعم، فهاهو ابن جني يتحدث عن (إقرار الألفاظ على أوضاعها الأُوَل مالم يدعُ داعٍ إلى الترك والتحول)وهو في هذا الباب يعترض على من قال إن (أو) تأتي بمعنى الواو الأمر الذي يخرجها عن معناها في الشك، ونسب ذلك القول للفراء، قال: [وذلك أن الفراء قال: إنها قد تأتي بمعنى (بل) وأنشد بيت ذي الرُّمة:

بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى ** وصورتها أو أنت في العين أملحُ

وقال: معناها: بل أنت في العين أملح، بل إذا كانت هنا على بابها كانت أحسن معنىً وأعلى مذهباً... وذلك أنها على بابها من الشك ألا ترى أنه لو أراد بها معنى (بل) فقال:بل أنت في العين أملح، لم يفِ بمعنى الشك لأنه إذا قطع بيقين أنها في العين أملح كان في ذلك سرف منه ودعاء إلى التهمة في الإفراط له، وإذا أخرج الكلام مخرج الشك كان في صورة غير المتحامل ولا المتعجرف فكان أعذب

---

[133]ابن هشام، المغني ص158-159.

للفظه][134].وهكذا سار ابن جني في اتجاه أن (أو) هنا تفيد الشك مجازاً، ليُفهم عنه أنه لا يقول بأن حرف يمكن أن يخرج إلى معنى حرف آخر طالما يمكن أن يتأول بما يحفظ له معناه الأصلي، وفي هذا يقول : [واعلم أنه ليس شئ يخرج عن بابه إلى غيره إلاّ لأمر قد كان وهو على بابه ملاحظاً له][135].

إذن فابن جني يقرر:

أولاً: استبعاد خروج الحرف إلى معنى حرف آخر.

ثانياً: أن المعنى المجازي للحرف لابد أن يتكئ على المعنى الأصلي له.

وكل ما سنراه من أمر (ثم) في هذا البحث هو على ذلك، إذ كانت معانيها المجازية لا تخلو من النظر إلى معناها الأصلي في الترتيب والمهلة والتراخي.

المبحث الثاني:

(ثم) ومعانيها في القرآن الكريم:

وردت (ثم) في القرآن الكريم نيفا وثلاث مائة مرة، ولا نزعم بالتأكيد أنها جاءت في كلّها بعيدة عن معناها الأصلي في الترتيب والتعقيب، بل لقد جاءت كذلك كثيراً كما في قوله تعالى: ***(كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)*** (البقرة 28) وغيرها، كما جاءت أحياناً تحمل كلا المعنيين فيكون ما بعدها تالياً لما قبلها متراخياً عنه ولكنه كذلك يحمل نوعاً آخر من التراخي المعنوي، وكثيراً ما أشار المفسرون إلى تلك المعاني الزائدة، واكتفى بعضهم بإيراد المعنى الأصلي لـ (ثم) دون النظر إلى أعمق من ذلك .

---

[134]الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، ت محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت. ج2 ص458.

[135]ابن جني، الخصائص ج2 ص 464.

كما جاءت في مواضع غير مفيدة لمعنى التتابع الزمني أو التراخي الزمني، وهنا وقف كثير من المفسرين لاستجلاء معانيها مختلفين بين من يذهب للقول بإفادتها معنى الواو ابتعاداً عن تحميلها معنىً مجازياً، وبين من يقول بإفادتها معنى بلاغياً مجازياً وسيظهر ذلك في أثناء هذا البحث إن شاء الله.

(ثم) عند الزمخشري:

يعتبر الزمخشري من أهم العلماء الذين تتبعوا الظواهر البلاغية في القرآن الكريم، كما يعتبر تفسيره المعروف بالكشاف من أهم مصادر التحليل البلاغيللظواهر اللغوية في القرآن.

ويلاحظ أن الزمخشري اختلف عن غيره من المفسرين في نظره إلى (ثم)في القرآن، إذ إن كثيراً من المفسرين قالوا في بعض الآيات بكون (ثم) بمعنى الواو، ولكن الزمخشري كان دائماً يذهب إلى التأويل البلاغي لها، وقد صرح الزمخشري أن استعمال (ثم) في مثل ما نتحدث عنه في هذا البحث إنما هو استخدام مجازي، قال في قوله تعالى: ***(أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً (*) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً)*** (سورة الفرقان 45-46) [فإن قلت (ثم) في هذين الموضعين كيف موقعها؟ قلت موقعها لبيان تفاضل الأمور الثلاثة، كان الثاني أعظم من الأول، والثالث أعظم منهما تشبيهاً لتباعد ما بينهما في الفضل بتفاضل ما بين الحوادث في الوقت][136]، إذن فهو استخدام مجازي يشبّه عمل (ثم) في إفادتها التراخي والتباعد في الأحوال والمراتب بإفادتها للتباعد والتراخي في الزمن.

---

[136]الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، ت عبد الرازق مهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت. ج3 ص288.

هذا، وقد علّق الزمخشري على الآيات التي جاء فيها حرف العطف (ثم) كثيراً، مبرزاً المعاني البلاغية له، وقد نقل عنه كثيرٌ من المفسرين، كأبي حيان في تفسيره البحر المحيط والرازي في مفاتيح الغيب.

وقد نظرتُ في ما قاله الزمخشري عن (ثم) ووجدت أنه حصر معانيها البلاغية في معنيين هما:

1. الاستبعاد:

ويعني به الزمخشري استبعاد أمر حدث أو هو حادث باعتبار أنه ما كان ينبغي أن يكون بالنظر إلى ما قبله من مقدّمات، ومثاله قوله تعالى : ***(ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ)*** (البقرة85) بعد أن قال ***(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ)*** (البقرة84) . قال الزمخشري : [ثم أنتم هؤلاء استبعاد لما أسند إليهم من القتل والإجلاء والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم وإقرارهم وشهادتهم][137].

ومثله كذلك قوله تعالى: ***(وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ)*** (البقرة 92) قال: [استبعاد لتوليهم بعد علمهم بأن الرجوع إلى كتاب الله واجب][138].

وتتعدد الآيات التي علّق عليها الزمخشري بأن (ثم) فيها تعني الاستبعاد فمنها قوله تعالى: ***(وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ)*** (الأنعام 1) و ***(يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا)*** (الجاثية 8). وغيرهامن الآيات.

وبالرغم من أننا إذا نظرنا نظرة تعتمد الترتيب الزماني للأحداث فإننا نجد أن الثاني عقب الأول من حيث وقت وقوعه، إلا أن المراد لا يذهب إلى ذلك، إذ ليس المقصد أن هذا الحدث وقع بعد ذلك زمانياً، ولذا نظر الزمخشري إلى ماهو أبعد

---

[137] السابق ج1 ص187.

[138] نفسه ج1 ص377.

من المعنى الظاهر لـ (ثم) ليخرج لنا بقوله في الاستبعاد ويجدر أن نذكر أنّ أبا حيان قال : [وكثيراً كرر الزمخشري أن (ثم) للاستبعاد، ولا نعلمه من كلام غيره][139] فهو إذن يقول إنه لا يعلم غير الزمخشري قال بمعنى الاستبعاد لـ (ثم).

2. التفاوت:

وسمّاه أحياناً التباين والتفاضل، ومحصلته أنّ (ثم) فيه تدل على ارتفاع ما بعدها عمّا قبلها في الرتبة، فإن كان ما قبلها عجيباً فما بعدها أعجب منه، كما في قوله تعالى : ***(انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ)*** (المائدة 75) قال الزمخشري: [فإن قلت ما معنى التراخي في قوله (ثم انظر) قلت: معناه ما بين العجبين يعني أنه بيّن لهم الآيات بياناً عجيباً وإن إعراضهم عنها أعجب منه][140].

وإن كان عظيماً كان ما بعده أعظم منه، كما في قوله تعالى : ***(ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ)*** (البقرة 29) قال الزمخشري: [ثم هاهنا لما بين الخلقين من التفاوت، فضّل خلق السموات على خلق الأرض، لا للتراخي في الوقت][141]وهذا الموضع من النماذج التي لا يجوز فيها تفسير (ثم) بمعناها اللغوي، وهو ما أشار إليه الزمخشري وغيره إذ المعروف أن خلق السماء سابق لخلق الأرض لذلك قال الزمخشري : [معنى الإستواء إلى السماء يناقضه (ثم)][142]ومن ثمَّ كان لا بد أن تحمل (ثم) ها هنا معنىً مجازياً.

ومن التفاوت كذلك التفاوت في السوء كما في قوله تعالى : ***(وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ)*** (النحل

---

[139]البحر المحيط (تفسير أبي حيان) محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ت الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2001م. ج8 ص 333.

[140]الزمخشري، الكشاف ج1 ص698.

[141]السابقج1 ص153.

[142]الموضع السابق.

284) هنا بيّن الزمخشري أن الكفار [يُمْنَوْنَ بعد شهادة الأنبياء بما هو أطمُّ منها وهو أنهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في إلقاء معذرة ولا إدلاء بحجة][143] إذن فالمعنى أن الكفار يوم القيامة يبتلون بأن يشهد عليهم الأنبياء ثم بما هو أشد وأسوأ منه وهو منعهم من الكلام وحرمانهم من الإدلاء بالعذر والحجة.

كذلك ربما كان الثاني بعد (ثم) أعلى وأرفع ممّا قبلها كما في قوله تعالى : ***(وَإِنِّي لَغَفَّار لمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى)*** (طه 82) ويرى الزمخشري أن (ثم) أتت هنا لتدل على أن [منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه لأنها أعلى منه وأفضل][144] .

والمحصلة أن (ثم) تأتي لتدل على التفاوت في المراتب بأن يكون ما بعدها أكثر، أو أرفع ، أو أعظم، أو أعجب ، مّما قبلها، وهذا ما قال به الزمخشري في الآيات السابقة وغيرها.

إذن فقد اختصر الزمخشري المعنى البلاغي لـ (ثم) في هذين المعنيين مع اتساع التفاوت ليشمل التفاوت في مختلِفِ المعاني كما سبق شرحه.

معنى (ترتيب الأخبار) ونقضُه:

قال كثير من المفسرين في بعض الآيات المشكلة بأن (ثم) فيها تفيد ترتيب الأخبار. فمثلاً في قوله تعالى: ***(خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)*** (آل عمران59) قال النيسابوري: [وقيل :(معنى (ثم) تراخي الخبر عن الخبر، لا تراخي المخبَر عن المخبَر. كقول القائل: أعطيت زيداً ألفاً اليوم ثم أنا اعطيته أمس ألفين، أي: ثم أنا أخبركم أنّي أعطيته أمس ألفين، فكذا قوله خلقه من تراب،

---

[143] الزمخشري، الكشاف ج2 ص 585.

[144] السابق ج3 ص81.

أي : صيّره بشراً سوياً ثم إنه يخبركم أنه إنما خلقه بأن قال له كن][145]وقال صاحب البحر المحيط أن قوله تعالى : ***(ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ)*** بعد قوله: ***(قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ)*** (الأنعام151 و154) أنه من ترتيب للأخبار[146]، وقال به في مواضع أخرى، وقال بذلك مفسرون آخرون كابن عطية[147]والقرطبي[148]والثعالبي[149] وقاله هؤلاء في غير هذه المواضع، وقاله غيرهم وهو قول شائع، ولذا فكان من المدهش أن الزمخشري لم يقل به في تفسيره البتة، وما ذاك إلا لأنه يرفض النظرة القصيرة المدى لمعنى (ثم)،إذ إن القول بترتب الأخبار هو قول لا ينظر إلى الآيات التي أشكل فيها معنى (ثم) نظرة تمحيص، وهو يأتي في الآيات التي يكون فيها الترتيب الزماني بين ما قبل (ثم) وما بعدها غير صحيح، فيأتي هذا الرأي ليقول إنّ(ثم) تفيد في مثل هذه الحالات: أخبركم بكذا ثم أخبركم بكذا كما سبق وشرحناه. وهو تخريج لم ينجُ من طعنٍ فيه، فقد أورد البغدادي في خزانة الأدب عن ابن عصفور أنه قال : [ما ذكره الفرّاء من أن المقصود بـ (ثم) ترتيب الأخبارلا ترتيب الشئ في نفسه ... ليس بشئ ، لأن (ثم) تقتضي تأخير الثاني عن الأول بمهلة ولا مهلة بين الخبرين][150] فابن عصفور ينفي أن تكون (ثم) لترتيب الأخبار، وهو قول يُعتبر.

هذا، وقد نقل أبو حيان قول الزمخشري في قوله تعالى: ***(كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ)*** (هود 1) وهو قوله : [فإن قلت ما معنى (ثم) قلت ليس معناها التراخي

---

[145]غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، ت الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996م. ج2 ص174.

[146]أبو حيان، البحر المحيط ج7 ص 467.

[147]المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ت عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م. ج1 ص115.

[148]الجامع لأحكام القرآن، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي القرطبي، تهشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض 2003م. ج1 ص 254.

149الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

[150]البغدادي، خزانة الأدب ج11 ص 39.

في الوقت ولكن الحال، كما تقول هي محكمة أحسن الإحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل][151] وعلّق قائلاً: أعني –أبا حيّان–: [يعني أن (ثم) جاءت لترتيب الأخبار لا لترتيب الوقوع في الزمان][152] ولا أدري كيف فسّر أبو حيان قول الزمخشري بأنه يعني ترتيب الأخبار، مع أنه صرح بأنه تراخٍ في الحال. والتراخي في الحال هو التفاوت الذي قال به الزمخشري مراراً كما ذكرنا.

وهناك موضع ربما يظن من رآه أن الزمخشري يقول فيه بترتيب الأخبار وليس كذلك، وذلك قوله تعالى : ***(لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ)*** (آل عمران 111) فهو يقول في ما عطفته (ثم): [كأنه قيل أخبركم أنهم إن قاتلوكم ينهزموا ثم أخبركم أنهم لا ينصرون][153] فهذا في معطوف (ثم) إذ الظاهر أن (ينصرون) معطوف على (يولوكم) وهو فعل مجزوم جواباً للشرط ، فأراد الزمخشري أن يبين أن (ثم) لم تعطف الفعل على الفعل، بل الخبر علىالخبر، أي: الجملة على الجملة، ولذا لم ينجزم الفعل (ينصرون)بعدها، فهذا مراده، أمّا معنى (ثم)في الآية فقالعنه:[فإن قلت فما معنى التراخي في (ثم) قلتُ: التراخي في المرتبة الأولى لأن الإخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الإخبار بتوليهم الأدبار][154] فهو إذن تفاوت في الرتبة ولم يقل فيه الزمخشري بترتيب الأخبار.

إنّ القول بأن (ثم) تعنى ترتيب الأخبار هو قول ينظر إلى الرأي الذي يقول بأن (ثم) قد تأتي بمعنى الواو فلا تفيد ترتيباً، إذ إن (ترتيب الأخبار) يعني أن لا يُنظر إلى المعني الذي قبل (ثم)والمعنى الذي بعدها من حيث الترتيب بينهما طالما كان المقصود الترتيب في وقت إلقاء الجملة، والجملة التي تليها وليس الترتيب في

---

[151]الزمخشري، الكشاف ج2 ص358.

[152]أبو حيان، البحر المحيط ج5 ص 201.

[153]الزمخشري، الكشاف ج1 ص 430.

[154]الموضع السابق.

المعاني. وهذا القول، والقول بأن (ثم) تعني الواو، واحدٌ في النتيجة، لأن كلاهما يلغي عمل (ثم) في ترتيب المعاني. وإن كان ترتيب الأخبار يوهم بأنهم اعتبروا معنى (ثم) في الترتيب وليس ذلك بصحيح، لأنّ المعنى الحقيقي ل(ثم)هو ترتيب المعاني لا ترتيب الألفاظ.

ويبدو رأي ابن عصفور – الذي ورد سابقاً– ملفتاً حين يقول: [لأن ثم تقتضي تأخير الثاني عن الأول بمهلة ولا مهلة بين الخبرين] فكأنه يقول: ما دمتم تقولون بأن (ثم) أفادت ترتيباً فأين التراخي في الإخبار؟ والخبران إنما يقالان متعاقبين في نطق قائلهما! فكأنه يأخذ عليهم اعتبار أحد عمليها دون الآخر.

إن معظم الآيات التي قال فيها بعض المفسرين بأن (ثم) قصدت إلى ترتيب الأخبار قال فيها الزمخشري بأقوال مختلفة ، وسنأخذ على ذلك أمثلة:

– ففي قوله تعالى: ***(ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ)*** (الأنعام 154) قال أبو حيان وغيره أنه من ترتيب الأخبار، بينما علّله الزمخشري بأن (ثم) تعني : [ثم (أعظم من ذلك) أنا أعطينا موسى الكتاب][155] وذكر فيه قولاً آخر هو أن (ثم) لا تعطف على ما قبلها مباشرة وإنما على قوله ***(وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ)*** (الأنعام 84) وبين الآيتين سبعين آية، فعلى الرغم من كل هذاالبُعد بين الآيتين أورد الزمخشري هذا الرأي ولم يقل بمقولة ترتيب الأخبار.[156]

– ومنها كذلك قوله تعالى: ***(خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا)*** (الزمر 6) وهي الآية التي قال فيها النيسابوري وغيره أن (ثم) فيها على ترتيب الأخبار كما أشرنا فيما سبق. وفي هذه الآية اتفق النيسابوري والزمخشري على السبب الذي من أجله لا تعتبر (ثم)في هذه الآية على بابها، وهو أن الخلق من

---

[155]الزمخشري، الكشاف ج2 ص76.

[156]الزمخشري، الكشاف ج2 ص77.

نفس واحدة عادة مستمرة متكررة، وهي خلق البشر من نسل آدم، أما جعل الزوج منها فقد حدث مرة واحدة وهو خلق حواء من ضلع آدم فهذا حدث قديم وذاك حدث متجدد فكيف يعطف القديم على الحادث ب(ثم) التي تفيد أن ما بعدها متأخر عمّا قبلها؟ والحال هنا على العكس فكان لا بد من تأويلها. فلذا ذهب النيسابوري إلى القول بترتيب الأخبار أما الزمخشري فذكر أنّ الخلق من نفس واحدة وخلق حواء من ضلع آدم كلاهما آية دالة على وحدانيته، إلا أنه [لم تخلق أنثى غير حواء من قصيرى رجل فكانت أدخل في كونها آية، وأجلب لعجب السامع. فعطفها بـ (ثم) على الآية الأولى للدلالة على مباينتها لها فضلاً ومزية، وتراخياً عنها فيما يرجع إلى زيادة كونها آية فهو من التراخي فيالحال والمنزلة][157]

هذان مثالان كافيان في بيان أن الزمخشري لم يأخذ بالقول بترتيب الأخبار مع أنه قول قديم قاله الفراء، ولا شك أن الزمخشري كان عارفاً به، ولكنه آثر أن ينظر إلى المعنى المجازي البلاغي لـ (ثم) في هذه الآيات ونظيراتها، إذ هو يعطي الآيات ومعانيها ثراءاً وعمقاً لا يتوافر في القول بترتيب الأخبار.

إنّ نفي أن تكون (ثم) تحمل معنى ترتيب الأخبار هو شبيه بنفي أن تكون (ثم) بمعنى الواو لما ذكرتُه من تقارب حال (ثم) في الموضعين في عدم إفادة الترتيب. لذا فلا أرى حملها على هذا المعنى يصح، ويدعمنا تجنب الزمخشري للقول به، والله أعلم.

تفصيل جديد لمعاني (ثم)في القرآن الكريم:

لم يعلِّق الزمخشري على كل المواضع التي جاءت فيها (ثم) بمعنى مجازي، فقد تجاوز الكثير من الآيات ربما لأنه رأى أن فيما ذكره غناءا عمّا لم يذكره، ولكنّ كثيراً من الآيات التي لم يعلق عليها تحدث عنها غيره من المفسرين

---

[157] السابق ج4 ص115.

كأبي حيان، والنيسابوري والسمرقندي والبقاعي، وكثيرون منهم نقلوا عنه، ثم ربما زادوا أو علّقوا على قوله، وقد نظرت في مواضع (ثم) التي يترجح فيها أنها مجازية المعنى ومع النظر إلى أقوال المفسرين فيها قسّمتُها بحسب ما ظهر لي من معانٍ ودلالات إلى هذه الأقسام:

1. (ثم) حين تدل على أن رتبة ما بعدها أعلى من رتبة ما قبلها.
2. (ثم) بمعنى : (وأكثر من ذلك) أو (وفوق ذلك)
3. (ثم) بمعنى: (تأمل فارق ما بين الحالين) ويتضمن معنى التعجيب.
4. (ثم) بمعنى : (وبالرغم من ذلك) (وبعد ذلك).
5. (ثم) بمعنى التهويل.
6. (ثم) التي تعنى أن ما قبلها فعل وقتي وما بعدها فعل ممتد، يحصل بصورة دائمة، أو يكون عدم حصوله دائما.

إن هذا التقسيم لا يزعم أنه يستدرك على ما وجده الزمخشري من معانٍ لـ (ثم)، بل هو أشبه بأن يفصّل ما أجمله وينظر فيما تجاوزه من آيات هي كذلك مجملة فيما أورده وبيّنه في غيرها من الآيات، وفيما يلي فإن كل آية لا آتي فيها برأي الزمخشري فذلك يعني أنه لم يتحدث عن (ثم) فيها.

1. (ثم) تعني أن رتبة أعلى من رتبة:

وذلك داخل في معنى التفاوت، ومن ذلك قوله تعالى: ***(لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ)*** (المائدة 93) ذكر ابن عاشور أن (ثم) في ***(ثُمَّ اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ)*** استخدمت [ليكون ايماءاً إلى الازدياد في التقوى وآثار الإيمان] وأن

(***ثُمَّ اتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ***)[تفيد الارتقاء في التقوى][158] إذن فهو ترقّ في مراتب الإيمان من التقوى والعمل إلى رسوخ في التقوى والإيمان إلى مرتبة التقوى والإحسان.

ومنه كذلك قوله تعالى : (***كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ***) (هود 1). قال الزمخشري: [فإن قلت ما معنى (ثم)؟ قلت: ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال][159]وسبق أن أوردتُ تعليق أبي حيان على قول الزمخشري وفندتُه.

وقال البقاعي مفصلاً قول الزمخشري ومبيناً هذا التفاوت في الرتبة بين الإحكام والتفصيل: [ولمَّا كان للتفصيل رتبة هي غاية في العظمة أتى بأداة التراخي (ثم) أي: وبعد هذه المرتبة العالية التي لم يشاركه في مجموعها كتاب؛ جعلت له رتبة أعلى منها جداً بحيث لم يشاركه في شئ منها كتاب وذلك أنه (فصّلت) أي جعلت لها مع كونها مفصلة إلى حلال وحرام وقصص وأمثال، فواصل ونهايات تكون فيها مفارقة لما بعدها وما قبلها يعرف منها علوم جمّة ومعارف مهمة...وهذا التفصيل لم يشاركه في شئ منه شيٌ من الكتب السابقة بل هي مدمجة إدماجاً لا فواصل لها كما يعرف ذلك من مطالعها][160].

ويرى ابن عطية أنها على بابها في التراخي الزماني، بمعنى أنها أحكمت : أي: أتقنت وأجيدت، ثم فصلت وذلك [بتقطيعه و تنويع أحكامه وأوامره على محمد

---

[158]التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط1، 2000م. ج5 ص206.

[159]الزمخشري، الكشاف ج2 ص358.

[160]نظم الدرر في تناسب الآيات والسور(تفسير البقاعي) ، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ت عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتبج3 ص 498-499.

صلى الله عليه وسلم في أزمنه مختلفة][161] ولا يخفى مافي تأويلها على قول الزمخشري بالمعنى المجازي لـ (ثم) من عمق وثراء في الدلالة.

ويأتي معنى تباعد الرتب كذلك في قوله تعالى : ***(أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (14) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (15) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (16) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ)*** (سورة البلد 14–17) قال الزمخشري: [جاء بثم لتراخي الإيمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة][162] واستدل على أن (ثم) لا يراد بها التراتب الزمني بأن [الإيمان هو السابق المقدّم على غيره ولا يثبت عمل صالح إلا به][163] فإذن الإيمان من حيث وقوعه سابق لكل عمل صالح وكل عمل مترتب عليه، ولكن المعنى هنا يذهب إلى أنه (أي الإيمان) أعلى في المقام والرتبة لأنه قوام الأعمال ومعتمدها.

(ثم) بمعنى: (وأكثر من ذلك) أو (وفوق ذلك):

أتت (ثم) في مواضع متعددة بهذا المعنى، وأرجعها الزمخشري طوراً للاستبعاد وطوراً للتفاوت، ومنها قوله تعالى: ***(لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ)*** (آل عمران111) ذكر الزمخشري أن (ثم) تفيد التراخي في المرتبة [لأن الإخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الإخبار بتوليهم الأدبار][164]إذن فالمعنى أنهم يفرون وأكثر من ذلك أن الله يخزيهم ويحرمهم نصره.

وقريب من هذه الآية قوله تعالى : ***(وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ)*** (هود 113) وهنا ذكر الزمخشري أن معنى (ثم) الاستبعاد [لأن النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم

---

[161]ابن عطية، المحرر الوجيز ج3 ص148.

[162]الزمخشري، الكشاف ج4 ص760.

[163]الموضع السابق.

[164]الزمخشري، الكشاف ، ج1 ص430.

العذاب واقتضاء حكمته له][165] وقد علّق أبو حيان قائلاً: إن قول الزمخشري هذا [يعد من ألفاظ المعتزلة][166] ويقصد قوله استيجابهم العذاب بسبب ارتكاب الكبيرة وهي الموالاة والركون للكفار وهو رأي المعتزلة، وعلى كل حال فإن المعنى لا يبعد أن يكون: إنكم إن تركنوا للظالمين فلن تجدوا من ينصركم وأكثر من ذلك أن الله يحرمكم نصره.

وقوله تعالى:(***وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ***)(الزمر 54) قريب من هذا، ومنه كذلك قوله تعالى: (***ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا .ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا***) (نوح 8، 9) يقول الزمخشري: [ومعنى (ثم) الدلالة على تباعد الأحوال، لأن الجهار أغلظ من الإسرار، والجمع بين الأمرين أغلظ من إفراد أحدهما][167] وأشار كل من الرازي وأبي السعود إلى جواز أن يكون القصد من (ثم) التراخي في الزمان، قال أبو السعود:[و(ثُمَّ) لتفاوتِ الوجوهِ ...أو لتراخِي بعضِهَا عن بعضٍ][168] وقال الرازي:[وكلمة { ثُمَّ } دالة على تراخي بعض هذه المراتب عن بعض إما بحسب الزمان ، أو بحسب الرتبة][169]والزمخشري على إنها للرتبة فقط، فكأن المراد هو ذكر ازدياد القوة في وسيلة الدعوة فكأنه يقول: إني فوق الإسرار جاهرتهم بالدعوة، وأكثر من ذلك أني جمعت لهم الإسرار والمجاهرة فما زادهم كل ذلك إلاّ إعراضاً. وبهذا المعنى لـ (ثم)يتجسم قوة نوح في دعوته وإجتهاده في أمرها، كما يبدو شدة إصرارهم على كفرهم وتكبرهم الأمر الذي يبرر تماماً ما تعرضوا له من عقاب الله بالإغراق.

---

[165]نفسه، ج2 ص 409.

[166]أبو حيان، البحر المحيط ج5 ص269

[167]الزمخشري،الكشاف ج4 ص619

[168]إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت ج9 ص37.

[169]مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1998م ج30 ص121.

هذا، ولهذا النوع من معاني (ثم)أمثلة أخرى ويكفي عن ذكرها ما سبق.

ثم بمعنى (وبالرغم من ذلك)، (وبعد ذلك):

ولهذا المعنى أمثلة كثيرة كذلك نكتفي بالبعض منها عن الكل فمنها قوله تعالى: ***(يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ)*** (البقرة 75) أي: بالرغم من سماعهم إيّاه ومعرفتهم أنه من الله فلا يجوز أن يحرف؛ يحرفونه، ولذا قال: من بعد ما عقلوه، أي: بالرغم من أنه استقر في عقولهم عدم جواز تحريفه يحرفونه.

ومنه قوله تعالى: ***(وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ)*** (البقرة 92) أي: بالرغم ممّا جاءكم به موسى من البينات اتخذتم العجل.قال صاحب تفسير اللباب: [(ثم أتَّخَذْتُمُ العِجْل) توبيخ ، وهو أبلغ من (الواو) في التَّقريع بها والنظر في الآيات ، أي بعد النظر في الآيات والإتيان به اتّخذتم].[170] فهو إذن يرى أن استخدام (ثم) زاد من نبرة التقريع في الآية وما ذلك إلا لأنها تحمل المعنى الذي أشرنا إليه.

وشبيه بهذه الآية في استنكار فعل الكفر بعد بيان الآيات قوله تعالى: ***(وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ)*** (المائدة 32). ويلاحظ لفظ (بعد ذلك) في الآية، إذ يشيرُ إلى معنى (ثم). وهذا يدخل في باب النكير عليهم بأنه ما كان لهم أن يفعلوا ما فعلوه بعد ما سلف مما هو مقتضٍ لخلاف فعلهم الذي قاموا به.

---

[170] اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحمبلي، ت الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ على محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1998م ج2 ص290.

ومن ذلك قوله تعالى: ***(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ)*** (السجدة 22) قال الزمخشري: [ثم أعرض عنها، للاستبعاد، والمعنى: أن الإعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وإنارتها وإرشادها إلى سواء السبيل... مستبعد في العقد والعدل][171]. فالنكير على الإعراض بالرغم من وضوح الآيات الدالة المنادية تذكيرا وتحذيرا.

ومنها قوله تعالى: ***(يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا)*** (الجاثية 8)

قال الزمخشريإن معنى (ثم) هنا كمعناها في قول الشاعر:

ولا يكشف الغماء إلاّ ابن حرّة يرى غمرات الموت ثم يزورها**[172]

وأضاف: [وذلك أن غمرات الموت حقيقة بأن ينجو رائيها بنفسه ويطلب الفرار منها وأما زيارتها والإقدام على مزاولتها فأمر مستبعد، فمعنى (ثم) الإيذان بأن فعل المُقدِم عليها بعدما رآها وعاينها شئ مستبعد في العادات والطباع، وكذلك آيات الله الواضحة الناطقة بالحق، مَنْ تليت عليه وسمعها كان مستبعداً في العقول إصراره على الضلالة بعدها][173]، فالمعنى واضح إذن، يرى غمرات الموت وبالرغم من ذلك يزورها، ومثله: تتلى عليه الآيات البينات وبالرغم من ذلك يصر مستكبراً. فالاستبعاد إذن [للإصرار والاستكبار بعد سماع الآيات التي حقها أن تذعن لهاالقلوب] كما قال أبو السعود.[174]

---

[171]الزمخشري، الكشاف ج3 ص522.

[172]البيت في ديوان الحماسة لجعفر بن عُلبة الحارثي ص25.

[173]الزمخشري، الكشاف ج4 ص290.

174أبو السعود،تفسيره ج8 ص69

ووجدتني قلت في رسالة الدكتوراة:[يرى بعض العلماء أن (ثم) في آية السجدة تفيد مهلة زمانية بين ما قبلها وما بعدها، فيرى الكرماني ويوافقه شيخ الإسلام زكريا الأنصاري أنّ آية السجدة خطاب للأموات من الكفار ويستدل بقوله تعالى (*وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِم*) (السجدة 12) فهم قد ذُكّروا مرة بعد مرة وزمانا بعد زمان فأعرضوا بالموت وانقطع رجاء إيمانهم، فجاءت ثم لتفيد هذه المهلة.][175]. والكرماني والأنصاري من العلماء الذين كتبوا في الآيات المتشابهة لفظا،وقد قرنوا هذه الآية بآية شبيه بها كان حرف العطف فيها الفاء بدلا من (ثم) هي قوله تعالى: (***وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا***) (الكهف 57)ففي هذه الآية تم العطف بالفاء بدلا من (ثم) المستخدمة في الآية محل الدراسة. وقد مال علماء المتشابه اللفظي فيما تعاقبت فيه (ثم) والفاء إلى النظر إلى المعنى الحقيقي للحرفين يخرِّجون عليه علّة الإختلاف بين الآيات المتشابهة ، ولكن المفسرين أمثال الزمخشري الذين لم ينظروا إلى الآية في هذا الإطار الضيق تأملوا المعنى الأعمق للحرف العاطف، والذي أقول هنا أنه (وبالرغم من ذلك)وهذا لا يبعد عن قول الزمخشري بأنه للاستبعاد.

(ثم) بمعنى لفت النظر إلى بُعد ما بين الحالين والفعلين:

يتشابه هذا التصنيف مع ما قبله كثيراً، ويبدو الفاصل بينهما أن الصنف الأول يدخل في باب الإنكار والاستنكار، بينما الثاني أدخل في الدعوة للتأمل تعجباً وتعجيباً، وقد أدخل الزمخشري جل هذه الآيات في معنى الاستبعاد كما سنرى.

فمنها قوله تعالى : (***أنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ***.) (المائدة 75)

---

[175]انظر التوجيه البلاغي للآيات المتشابهة في القرآن الكريم – رسالة دكتوراة ص121

قال الزمخشري: [فإن قلت ما معنى التراخي في قوله (ثم انظر) قلت : معناها ما بين العجبين، يعني أنه بيّن لهم الآيات بياناً عجيباً وإن إعراضهم عنها أعجب منه][176]ففي الآية دعوة إلى تأمل ما بين الفعلين من تباعد وتناكر، ذلك أن الله بيّن لهم الآيات وجاءهم بالدلائل التي كان مقتضاها التسليم والإيمان من جانبهم، ولكن كان منهم خلاف ذلك بما يدعو للعجب من شدة تكبرهم وعتوهم على الحق.

ومثله قوله تعالى: ***(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ)*** (الأنعام 1)

قال الزمخشري عن (ثم) في هذه الآية أنها [استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته][177]. إن خلق السموات والأرض وسائر مخلوقات الله الكونية هي من أعظم ما استدل به الله على قدرته ووحدانيته في القرآن الكريم، كما في قوله: ***(أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا، رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا، وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا، وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا)*** (النازعات 27–30) وقوله تعالى: ***(أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ) (60 النمل)*** وتكثر أمثال هذه الآيات في القرآن، وقد بين لنا القرآن أن المشركين كانوا يعلمون ويعترفون بأن الله هو خالق السماوات والأرض قال تعالى :***(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ)***(لقمان 25)فكل العجب إذن في معرفتهم بحقيقة كونه تعالى هو خالق السماوات والأرض وبارئ الظلمة والنور ثم يقابلون ذلك بأن يعدلوا به _سبحانه_ سواه ويشركونه معه في العبادة.

ومنها قوله تعالى: ***(يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ)*** (النحل 83)

---

[176]الزمخشري، الكشاف ج1 ص 698.

[177]السابق ج2 ص6.

وهنا يقول الزمخشري كذلك أن دلالة (ثم): [أن إنكارهم أمر مستبعد بعد حصول المعرفة][178].

يتضح في هذه الآيةوالآية السابقة معنى الدعوة إلى تأمل مابين الفعلين فيهما (وهما الاعتراف بالخالق والشرك به، معرفة النعمة وإنكارها)من تفاوت، دعوة لتأمل قبح الشرك بعد العلم بأن الخالق واحد، واستشناع إنكار النعمة بعد معرفتها، وهكذا، وذلك تعجيباً من ذلك التفاوت والتضاد بين المقدمات والنتائج المخالفة لها.

(ثم)بمعنى أن ما بعدها لن يحدث مهما امتد الزمن أو هو حادث في ممتد الزمان:

تأتي (ثم) أحياناً وما قبلها حدث وقتيوما بعدها حدثكائن ابدا أو لن يكون أبدا ، ومن أمثلتها قوله تعالى: ***(اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ)*** (الرعد، 2).

اختلفت الآراء في هذه الآية، فأبو حيان يرى أن (ثم) لعطف الجمل، قائلاً: [لأن الاستواء على العرش قبل رفع السموات][179] فكأنه يقول بأن (ثم) هنا لا تفيد ترتيباً، وبمثل قوله قال السمرقندي مشيراً إلى أن ابن عباس قال: [كان فوق العرش حين خلق السموات والأرض][180].

وهذا عند الأخذ بالمعنى اللفظي للاستواء الذي يقول به أهل السنة بغير تمثيل ولا تشبيه.ولكن خروج الرازي بمعنى الفعل (استوى) إلى معنى مجازي أتاح لنا النظر إلى (ثم) بعين الباحث عن معنىً مجازي لها أيضاً، والرازي يقول إن

---

[178]الزمخشري، الكشاف ج2 ص584.

[179]أبو حيان، البحر المحيط ج5 ص354.

[180]بحر العلوم (تفسير السمرقندي) أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، ت محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت ج2 ص 215.

(***اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ***) ليس المراد منها (كونه مستقراً على العرش) ويرى أن ذلك يقتضي الحيز والمكان، والسكون بعد الاضطراب، والاستواء بعد الاعوجاج ويرى أن كل ذلك لا يجوز في حقه تعالى، ثم بعدما نفى أن يكون المراد هو المعنى الحقيقي للاستواء قال: [فثبت أن المراد استواؤه على عالم الأجسام بالقهر والقدرة والتدبير والحفظ][181].

وعلى تفسير الرازي للآية الكريمة تكون (ثم) مفيدة لمعنى الخلق ثم من بعده الاستواء على الحفظ والتدبير وهو فعل يمتد مع الزمان، وهذه الآية وشبيهاتها من آيات الصفات هي مدار نقاش طويل عقدي وفلسفي، ولسنا منه في شئ إلا بمقدارما نراه في التفسير المجازي لفعل الاستواء من أثر في معنى (ثم) بغير تغليب أو تصحيح لهذا التفسير دون سواه.

ومنها قوله تعالى : (***إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا***) (فصلت 3، الأحقاف13).

قال الزمخشري : [ثم لتراخي الاستقامة عن الإقرار في المرتبة، ... والمعنى : ثم ثبتوا على الإقرار ومقتضياته][182] وذلك هو المعنى الذي قصدناه من معنى (ثم)، أي: قالوا ربنا الله ثم داموا على استقامتهم في ممتد الزمن.

وربما كان الفعل أو الحدث الذي بعد (ثم) منفياً وهنا فإنها تعني أنّ ما بعدها لا يكون أو هو غير كائن في ممتد الزمن، ومثال لذلك قوله تعالى: (***مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا***) (الجمعة 5) قال البقاعي: [ولمّا كان تركهم لحملها وهي من عند الله، وعلى لسان رجل منهم هو أعظم في أنفسهم، وأجلُّهم إحساناً إليهم في غاية البعد ولا سيّما مع طول الزمان المسهل لحفظها، الميسر لتدبرها

---

[181]انظر الرازي، مفاتيح الغيب ج18 ص 186.

[182]الزمخشري، الكشاف ج4 ص204.

وتعرّف مقدارها، عبّر بأداة البعد فقال ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾[183]ف (ثم) إذن كأنها تقول: حملوها ثم طوال زمان دوامهم على دينهم لم يحملوها كما يجب، فمعنى (ثم) الإشارة إلى فعل لم يحدث في زمان طويل متراخي.

ومثلها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾(الحجرات 15) والمعنى شبيه بـ (ثم استقاموا) هذا ما أشار إليه الزمخشري إذ ذكر أن الآيتين متشابهتان في المعنى وقال في هذه الآية: [المعنى: أنهم آمنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به ... فإن قلت ما معنى (ثم) هاهنا وهي للتراخي، وعدم الارتياب يجب أن يكون مقارناً للإيمان لأنه وصف فيه... قلت : الجواب على طريقين...][184].

والطريقين هما:

1. قال الزمخشري :[أحدهما أنّ من وجد منه الإيمان ربما اعترضه الشيطان أو بعض المضلين بعد ثلج الصدر فشككه وقذف في قلبه ما يثلم يقينه ، أو نظر هو نظراً غير سديد يسقط به على الشك ثم يستمرّ على ذلك راكباً رأسه لا يطلب له مخرجاً ، فوصف المؤمنون حقاً بالبعد عن هذه الموبقات.][185]
2. والثاني أنّ الإيقان أفرد بالذكر بالرغم من كونه قرين الإيمان [تنبيهاً على مكانه، وعطف على الإيمان بكلمة التراخي إشعاراً باستقراره في الأزمنة المتراخية المتطاولة غضّا جديداً][186] إذن فـ (ثم) هي كما زعمنا كأنها تقول: ثم لم يرتابوا فيما يستقبلهم من الزمان، فهو فعل دائم مستمر في الزمان المتراخي كما قال الزمخشري. فما مدح الله به المؤمنين في هذه الآية وما به تحقق إيمانهم إنما هو

---

[183]البقاعي، تفسيره ج7 ص595- 596.

[184]الزمخشري، الكشاف ج4 ص380.

[185]الزمخشري، الكشاف ج4 ص380.

[186](الموضع نفسه)

الدوام على الإيمان وليس الإيمان نفسه، إذ الإيمان فعل وقتي يتم بالنية وبالإشهار باللسان في لحظته، وإنما يتحقق الإيمان بالمداومة عليه والتمسك بيقينه.
ويشبهها قوله تعالى: ﴿***الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى*ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا***﴾ (الأعلى 12-13)

يرى الزمخشري أن (ثم) هنا جاءت: [لأن الترجيح بين الحياة والموت أفظع من الصِّلِيّ، فهو متراخٍ عنه في مراتب الشدة][187] فهو يرى أنها تفيد التفاوت وهو صحيح ظاهر بلا شك، وفي ما ظهر لي أنها تفيد مع ذلك أن الفعل بعدها مستمر، فهم يدخلون النار ثم يبقَون في حالٍ من العذاب لا يكونون معها أحياءً حياة ينتفعون منها ولا أمواتاً فيستريحوا.

(ثم) بمعنى التهويل والتفظيع:

وهو معنى فرعي كذلك ويظهر في قوله تعالى : ﴿***كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ *ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ***﴾ (التكاثر 3، 4) قال الزمخشري:[(ثم) دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول وأشد، كما تقول للمنصوح: أقول لك ثم أقول لك لا تفعل.][188]

وقد جاء في اللباب أن (ثم) هنا على بابها والمعنى: [كلا سوف تعلمون في الدنيا ثم كلا سوفتعلمون في الآخرة][189]وقد نَسَب ذلك لعلي رضي الله عنه وعلّق قائلاً إن (ثم) على ذلك على بابها في المهلة، وذكر القرطبي كذلك أقوالاً تحمل (ثم) على معناها الأصلي.[190]

---

[187]الزمخشري، الكشاف ج4 ص741.
[188]السابق ج4 ص798.
[189]الدمشقي، اللباب ج20 ص479.
[190]القرطبي، تفسيره ج20 ص172 و173.

والواضح أن القصد من الآيات النذير والتهويل، يدل على ذلك حذف جواب الطلب في (كلا لو تعلمون علم اليقين)(التكاثر5) قال أبو السعود: [أي لو تعلمون ما بين أيديكم علم الأمر اليقين أي كعلمكم ما تستيقنونه لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه، فحذف الجواب للتهويل][191]،فالآيات مبناها على إظهار النذير وتأكيده وجاءت (ثم) لتفيد هذا المعنى وتؤديه فهي للتهويل والتعظيم، يتواصل ذلك في السورة حتى قوله تعالى: ***(ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ)*** (التكاثر 7)وهنا يقول الزمخشري: [وكرره معطوفاً بـ (ثم)تغليظاً في التهديد وزيادة في التهويل][192] فهذا هو معنى (ثم) المتتالية في هذه السورة التي مبناها على التحذيروالوعيد فناسبتها (ثم)حيث أدت المعنى بما فيها من القدرة على التعبيرالمجازي.

وفي قوله تعالى: ***(وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ)*** (الانفطار17-18) يقول البقاعي: [ولمّا كانت أهواله زائدة عن الحد كرر ذلك السؤال لذلك الحال فقال بعد أداة التراخي زيادة في التهويل ***(ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ)***][193]

ولا يخرج عن هذ السياق قوله تعالى: (كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ) (النبأ 4، 5) يعلق الزمخشري هنا بأن [معنى (ثم) الإشعار بأن الوعيد الثاني أبلغ من الأول وأشدّ][194]إذن فإن (ثم) في مثل هذه الآيات بإفادتها جعل الثاني أعظم وأكبر أفادت معنى التهويل وأدّته كما أريد لها.

---

[191]أبو السعود،تفسيره ج9 ص195.

[192]الزمخشري، الكشاف ج4 ص799.

[193]البقاعي، تفسيره ج8 ص352.

[194]الزمخشري، الكشاف ج4 ص685.

خاتمة:

ظل القرآن الكريم وتفاسيره منبعا من منابع العلم المتعلق باللغة العربية من حيث قدرتها على التعبير والقوى البيانية الكامنة في تراكيبها المختلفة،وقد ظهر من خلال هذا البحث أن ل(ثم)وهي حرف من حروف المعاني قوى تعبيرية تتجاوز معناها الأصلي في الترتيب والمهلة إلى معان مجازية أخرى تتكئ على المعنى الأصلى دون أن تنحصر فيه.

نتائج البحث:

نظر هذا البحث في (ثم) ومعانيها في القرآن الكريم وخلص إلى النتائج التالية:

1. فند الباحث القول بأن ثم تأتي بمعنى الواو فلا تفيد ترتيبا.
2. حملت (ثم) معانٍ مجازيّة في كثير من آيات القرآن الكريم .
3. أكثر من نظر إلى معاني (ثم) المجازية هم المفسرون لوقوفهم عليها في القرآن الكريم ومحاولتهم تفهّم معانيها في سياقاته المختلفة.
4. كان لصاحب الكشاف القدح المعلى في استجلاء معاني (ثم) المجازية وعنه نقل أكثر المفسرين.

5. حصر الزمخشري معانيها في التفاوت والاستبعاد.
6. يمكن أن يُفصّل في معاني (ثم) المجازية بأكثر مما هو عند الزمخشري.

ثبت المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم.

2- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

3- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، دار الجيل بيروت، ط5، 1979م.

4- بحر العلوم(تفسير السمرقندي) أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، ت محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.

5- البحر المحيط(تفسير أبي حيان) محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ت الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2001م.

6- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط1، 2000م.

7- التوجيه البلاغي للمتشابه اللفظي في القرآن الكريم، د. هاجر سليمان طه، رسالة دكتوراة غير مطبوعة، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، 2010م.

8- الجامع لأحكام القرآن، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي القرطبي، ت هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض 2003م.

9- حروف المعاني، أبو القاسم عبد الرحمن بناسحق الزجاجي، ت د. علي توفيق، مؤسسة الرسالة بيروت، ط1، 1984م.

10-خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، ت محمد نبيل طريفي و أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
11-الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، ت محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت.
12-روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني. شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
13-شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبد بن عبد الرحمن العقيليالهمداني المصري، ت محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، ط20، 1980م.
14-غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، ت الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996م.
15-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، ت عبد الرازق مهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
16-اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحمبلي، ت الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ على محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1998م.
17-اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني، ت فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، 1972م.
18-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ت عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م.

19-معاني القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المعروف بالنحاس، ت محمد على الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ، ط1، 1409هـ.
20-مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، أبو محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، ت د. مازن المبارك ومحمد علي حمد، دار الفكر بيروت، ط6، 1985م.
21-مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1998م.
22-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ت عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م.

الخلاف النحوي وأثره في دراسة النحو

إعداد الدكتور : محمد أحمد إدريس

أستاذ النحو و الصرف المساعد بكلية اللغة العربية ، جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم

ملخص البحث

تناول هذا البحث مسألة الخلاف بين النحاة ، وبيَّن أسباب الخلاف وأنواعه ،وآثاره الإيجابية والسلبية ، وبدايته ، ومواقف النحاة منه ، وأوضحت الدراسة أن معظم مسائل الخلاف كانت في الفروع التي تمثلها العلل والعوامل والمصطلحات ، كما برهنت على أن النحاة اختلفوا أفرادا وجماعات .

ورصدت الدراسة محاولات تيسير النحو ، ودعت إلى قبول ما لم يمس القواعد النحوية مثل المحاولات التي دعت إلى ترتيب بعض الأبواب النحوية ليلائم كل باب ما قبله وما بعده ، ومثلها التي دعت إلى حذف الأبواب غير العملية كالتنازع والتسمية بالفعل والحرف غير المعهود نقله إلى العلمية ، أما المحاولات التي تهدم القواعد أو تنفر منها فدعت إلى اجتنابها والحذر منها .

واتخذت الدراسة المنهج الوصفي الاستقرائي طريقاً لها في تتبع ظاهرة الخلاف النحوي

خلصت الدراسة إلى نتائج عدة منها :

إن النحو نحوان ، نحو تعليمي يقدم لعامة الأمة لضبط اللسان والقلم ، ونحو علمي يقدم للمتخصصين في العربية ، ومنها أن أسباب الخلاف النحوي منها العلمي ومنها غير العلمي

وأوصت الدراسة بالاعتماد على الشواهد الحية في تدريس النحو ، والاهتمام باللغة المنطوقة ؛ لأنها الأصل ، كما أوصت دارس العربية المتخصص بسبر أغوار العربية ، ومعرفة حكمها وأسرارها .

المقدمة

الحمد لله الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم والصلاة والسلام على النبي الأكرم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم ، ما ذكر اللهَ الذاكرون من عرب وعجم .

أما بعد :

فهذا بحث بعنوان : الخلاف النحوي وأثره في دراسة النحو ، أردت من خلاله تتبع ظاهرة الخلاف وما نتج عنها من آثار .

أسبابه :

شكلت ظاهرة الخلاف قضية نحوية كبيرة ، وترتبت عليها آثار إيجابية وأخرى سالبة ؛ وهذا ما دفع الباحث ليدلي فيها بدلوه محاولاً الكشف عن أنواع الخلاف وأسبابه وآثاره .

أهميته :

تنبع أهمية هذا البحث من مناقشته لظاهرة نحوية كانت مثار اهتمام النحاة قديماً وحديثاً ، وألقت بظلالها على تعليم وتعلم النحو العربي .

أهدافه :

يهدف البحث إلى الآتي :

1. الوقوف على الجذور التاريخية للخلاف النحوي .
2. معرفة أسباب الخلاف بين النحاة ، وأنواعه ، وفوائده ، وأضراره .
3. الوقوف على دعوات تيسير النحو وتحديد موقف منها .

منهجه :

اتبع البحث المنهج الوصفي الاستقرائي ، كما اتبع المنهج التأريخي في بعض جوانبه .

أسئلته :

يحاول البحث أن يجيب على الأسئلة الآتية :

1. ما آثار الخلاف النحوي ؟
2. متى بدأ الخلاف النحوي ؟ وما أسبابه ؟ وما فوائده ؟ وما أضراره ؟
3. ما أول المدارس النحوية اختلافاً ؟
4. هل لخلافات النحاة معايير علمية ، وإن وجدت فهل كانت وحدها السبب ؟
5. متى بدأ التأليف في الخلاف النحوي ؟ وهل حوى كتاب الإنصاف كل مسائل الخلاف ؟
6. هل كان الخلاف قاصراً على المدارس النحوية أم تعداها إلى الأفراد ؟
7. هل كان الخلاف في الأحكام أم في العلل أم في العوامل أم في كلها ؟
8. ما آثار دعوات تيسير النحو ؟ وما المقبول منها وما المردود ؟

الدراسات السابقة :

تناول كثير من العلماء ظاهرة الخلاف ، لكني لم أقف على دراسة له بهذه الطريقة التي سلكها هذا البحث ، وهي تقسيمه إلي خلاف في الأحكام الإعرابية ، وخلاف في العلل والعوامل إلى جانب بيان أسباب الخلاف وآثاره .

هيكله :

يتكون البحث من أربعة مباحث إلي جانب المقدمة والخاتمة

المبحث الأول : أسباب الخلاف النحوي

المبحث الثاني : الخلاف في العوامل والعلل

المبحث الثالث : الخلاف في الحكم الإعرابي

المبحث الرابع : أثر الخلاف في دارس النحو

المبحث الأول

أسباب الخلاف بين النحويين

مما لا تخطئه العين الخلاف الدائم بين النحاة في الأصول والفروع ، واختلاف النحاة ليس قاصراً على المدارس النحوية ، بل هو موجود في داخل المدرسة الواحدة ، فكم من نحوي انفرد بآراء خالف بها شيخه أو مدرسته ، وقد يخالف بها كل المدارس النحوية ، يقول إبراهيم بيومي : " اختلفوا مدارس كما اختلفوا أفراداً "[195] .

وهذا الخلاف نبتت نابتته منذ نشأة النحو ، نلحظ ذلك عند واضع النحو أبي الأسود إذ يقول : " من العرب من يقول لولاي لكان كذا "[196] أي أنها حرف من حروف الجر عند هؤلاء ، وأنه يُجَر بها المضمر[197] ، وقوله (من العرب) دليل على الاختلاف ؛ لأن التبعيض لا يستعمل في مواطن الاتفاق والإجماع ، ونسبة لطبيعة النشوء – لم يكن الخلاف في البداية متشعبا أو عميقا ، والسؤال الذي يبرز هنا هو : ما أول المدارس النحوية اختلافاً ؟ وما أسباب هذا الاختلاف ؟ وهل له معايير علمية ؟ وإن وجدت هذه المعايير فهل وحدها وراء الخلاف أم أن هناك عوامل أخرى لعبت دورا فيه ؟ .

وأول المدارس النحوية نشأة واختلافاً المدرستان الكبيرتان المدرسة البصرية والمدرسة الكوفية ، وأسباب اختلافهما تتمثل في ثلاثة أنواع هي :

1- أسباب علمية :

وهي تعود إلي اللغة العربية ؛ لأنها لغة واسعة تنتشر في بقعة كبيرة بها مجموعة قبائل تختلف أساليبها في التعبير عن أغراضها ، وليس بالإمكان الإحاطة بكل

---

[195] . منطق أرسطو والنحو العربي_ إبراهيم بيومي مدكور_ مجلة مجمع اللغة العربية _ الجزء السابع (القاهرة 1953م) _ ص 354 .

[196]. النحو والنحاة في القرنين الأول والثاني الهجريين _ د. المهدي إبراهيم عبد العال(دار الكلمة للنشر والتوزيع _القاهرة 2012م) ص374 .

[197] . ينظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك _ ج3 _ (مكتبة دار التراث بالقاهرة _ 1420هـ _ 1999م) ص7 .

جوانب لغتها يقول أبو عمرو البصري : " ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير "[198] .

وهذه القبائل العربية ليست على درجة واحدة من الفصاحة والبيان ؛ ولذلك ضيّق النحاة دائرة الأخذ عنها في سبع قبائل هي : قريش ، وقيس ، وتميم ، وأسد ، وأكثر اللغة مأخوذ عن هؤلاء تليهم هذيل وبعض كنانة وبعض طئ ، ومن لان جلده من هؤلاء بتحضره أو سكنه في أطراف المدن لا يعتد به ولا يوثق بلغته[199] ، ويلاحظ دقتهم في الأخذ عن بعض القبيلة دون بعضها الآخر ، وتتبع أفراد القبيلة في حركتهم بين البادية والحضر ، ومن هذا المنطلق اختلف نهج البصريين الذين آثروا اطراد اللغة وتضافر أدلتها وشواهدها حتى تكون مقبولة عن نهج الكوفيين الذين قبلوا كل مسموع عن العرب ، وجعلوا اللغة صاحبة السلطان على القواعد لا العكس ، وبهذا سلك القوم مسلكَين متباينين وساروا في خطين متوازيين ، ولم يكن الكوفيون أول من انتهج هذا المنهج في قبول واحترام ما رُوي عن العرب وإن خالف الكثير الغالب من لغة العرب ، فقد كان أبو عمرو البصري يتحرز عن تخطئة العرب ، بينما تجرأ ابن أبي إسحاق ، وعيسى بن عمر على ذلك فكانا يتعقبان الشعراء ويطعنان فيهم[200] ، لكن الذين كان يسلم لهم أبو عمروهم فصحاء العرب وليس كل العرب .

ويدخل في الأسباب العلمية اختلاف البصريين والكوفيين في المصطلحات والتعريفات ، فالبصريون – وإن كانوا السابقين إلى ميدان النحو – لم يحددوا تسميات الأبواب تحديداً تاماً بل كانوا يصفون الباب وصفاً حتى يتصوره الدارس

---

[198] . طبقات فحول الشعراء _ محمد بن سلام الجمحي _ تحقيق محمود محمد شاكر (مطبعة المدني _ القاهرة 1987م) _ ص5 .

[199] . ينظر الاقتراح في أصول النحو – السيوطي عبدا لرحمن بن أبي بكر (دار المعارف – سوريا 1359هـ) ص 19 ، والنحو والنحاة ص 376 .

[200]. ينظر نشأة النحو وتأريخ أشهر النحاة _ الشيخ محمد الطنطاوي (دار المعارف القاهرة _ ط2) _ ص 73 ، 74 ، 76 ،_ والنحو والنحاة المهدي إبراهيم _ص 530 .

ويذكرون له الأمثلة والشواهد كما فعل سيبويه في تعريفه للفعل إذ عرَّفه بأنه : " أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما مضى ولما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع "[201] ، وبهذا لم يضع للأفعال تعريفات دقيقة وإنما اكتفى بوصفها ، ولا شك أن هذا أعطى الكوفيين فرصة لمخالفة البصريين والإتيان بمصطلحات وتعريفات أخرى ، فسموا حروف الجر بحروف الإضافة ، كما سموا ضمير الفصل بالعماد إلى غير ذلك من المصطلحات الكوفية المخالفة لمصطلحات البصريين[202] .

وكما اختلف البصريون والكوفيون في المصطلحات والتعريفات اختلفوا في العوامل والمعمولات ، فعندما يذهب البصريون إلى أن المبتدأ مرفوع بالابتداء ، والخبر مرفوع بالمبتدأ ، يخالفهم الكوفيون ويرون أن الابتداء أمر معنوي لا وجود له ويقررون ترافع المبتدأ والخبر أي أن المبتدأ رفع الخبر ، والخبر رفع المبتدأ ، وفي هذه المسألة جرت مناظرة بين الجرمي البصري والفراء الكوفي[203] .

2. أسباب سياسية :

وإلى جانب الأسباب المذكورة أعلاه تضاف أسباب أخرى غير علمية ويأتي في مقدمتها

السبب السياسي ومنشؤه الحساسية التي حدثت بين البصرة والكوفة بعد الفتنة التي حدثت بين المسلمين ، ، حيث اتخذ أهل كل بلد خطاً سياسياً مغايراً للآخر ، وازداد هذا الخلاف مع تعاقب الأيام حتى تنافرت البلدان ، وانسحب ذلك إلى المسائل العلمية ، وهذا هو السر في استقدام العباسيين علماء الكوفة وعطفهم

---

[201]. الكتاب _ أبو بشر عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه _ تحقيق عبد السلام محمد هارون (مكتبة الخانجي _ القاهرة _ ط3_ 1408هـ ، 1988م _ 12/1

[202] . شرح التصريح على التوضيح – خالد الأزهري (دار إحياء الكتب العربية – د،ت)2/2 .

[203] . ينظر الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين _ أبو البركات ابن الأنباري _ تحقيق جودة مبروك محمد جودة (مكتبة الخانجي _ القاهرة _ ط1 _ 40/1 ،41 ، 45 ، 46 .

عليهم وتقديمهم على علماء البصرة ؛ وذلك لأن أول خلفاء بني العباس السفاح بويع بالكوفة ، وأما البصرة فقد عرف لها الأمويون فضلها وحفظوا لها جميلها المتمثل في مناصرة المطالبين بدم عثمان ، وهكذا نجد الأمر سجالاً بين البلدين فمرة تتفوق البصرة ، وثانية تعلو الكوفة .

وتشتد العصبية بينهما حتى في المسائل العلمية ، وأوضح دليل على ذلك المناظرة المشهورة بين سيبويه والكسائي في المسألة الزنبورية ، والتي تمثلت فيها كل مظاهر التآمر والخداع والتضافر على النيل من سيبويه ، وهزيمته بشتى السبل ، وبتشجيع من أولي الأمر من الوزراء والخلفاء العباسيين ،وسبب إنهاء المناظرة لصالح الكسائي ما هو إلا سياسي بحت.

3. أسباب جغرافية :

لعب موقع كل من البلدين دوراً مهماً في تشكيل العقلية العلمية لأهله ، وهذا السبب الجغرافي يعود إلى اختلاف البصرة عن الكوفة في موقعها وطبيعة التركيبة السكانية بها ، فالبصرة تقع في الجنوب الغربي من العراق وعلى أطراف البادية قريباً من الجزيرة العربية ، وهذا هيأ لعلمائها الاتصال بالعرب الأقحاح ومشافهة البدو الخلص ، مع المحافظة التامة على اللغة والاعتداد بها دون غيرها ، والبعد الكامل عن المؤثرات الخارجية على العقلية العربية اللغوية .

وأما الكوفة فنائية عن الجزيرة العربية ، وهذا شكل عائقاً أمام رحلة علمائها ، وذلك إلى جانب تأثرها بالروح الفارسية في علومها ، مما صبغها بحرية التفكير والتوسع في الابتكار و انفساح الميدان للآراء ، وشجعهم على ذلك قلة السماع وعدم الظفر بالكفاية السمعية مما جعلهم يعتدون بكل مسموع ، مع اختلاف في نوعية العرب النازلين بكل من البلدين ، فعلى مقربة البصرة بوادي نجد موطن

الأعراب الفصحاء ، بينما نزل الكوفة من ضعفت عربيتهم ولانت جلودهم وهم عرب اليمن المخالطون للأحباش والهنود[204] .

يؤكد هذه الحقيقة ما روي عن أبي زيد أنه قال : " قدم علينا الكسائي البصرة فلقى عيسى والخليل وغيرهما ، وأخذ منهم نحواً كثيراً ، ثم سار إلى بغداد فلقى أعراب الحليمات فاخذ عنهم الفساد من الخطأ واللحن فافسد بذلك ما كان أخذ ه بالبصرة كله "[205] .

وعلى هذا يمكننا القول إن منهج المدرستين مختلف ، حيث اتسمت البصرية بالتشدد والتمسك بالقياس وضرورة الاطراد والكثرة مع سلامة المأخوذ عنه من شوائب الضعف اللغوي ، بينما تساهلت الكوفية واحترمت كل مسموع عن العرب مع تحرر في القياس واتساع في الأخذ ، فخالفت نزعتها نزعة البصرة في شتى المسائل ، وتمايز منهج البلدين ، وسار كل منهما في اتجاه مغاير لاتجاه الآخر ؛ ونتيجة لذلك بدأ نحو البصريين صارماً حازماً يقل فيه التجويز على حين يكثر التجويز عند الكوفيين .

هذه هي أشهر أسباب الخلاف ، يضاف إليها أسباب أخرى تتمثل في التنافس الشديد بين النحاة ، حين يريد كل نحوي أن يظهر تفوقه العلمي ، وميزة مذهبه على مذهب منافسه ؛ لينال بذلك شهرة أكبر وحظوة أكثر ، ولتعظم مكانته عند الخلفاء والوزراء الذين كانوا يهتمون بهذا التنافس ويستقدمون أصحاب الظفر والغلبة ؛ ليكونوا مؤدبين لأولادهم ومنادمين لهم ، وهذا كان طريق الرزق والجاه .

---

[204]/ ينظر المزهر في علوم اللغة ، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم (مطبعة دار إحياء الكتب العربية _ القاهرة) 128/2

[205] . نشأة النحو وتأريخ أشهر النحاة _ الطنطاوي _ ص12 .، ينظر في أسباب الخلاف– النحو والنحاة ، المهدي عبد العال،ص375–388، وضحى الإسلام ، أحمد أمين (مكتبة النهضة المصرية– القاهرة –1972م) 2|294، وموقف جلال الدين السيوطي من المدارس النحوية والقضايا اللغوية ،د راضي محمد عيد نواصرة(دار الراية للنشر والتوزيع–ط1 2012م) ص205–207

ومن أسباب الخلاف اختلاف المدارك ، والظروف الثقافية ، والنفسية ، والاجتماعية ، وغموض الموضوع في ذاته ، وعدم الإلمام بوجهة نظر الآخر[206] .

ولم يكن الخلاف بين النحاة شراً محضاً وحرباً ضروساً لا فائدة منها ، بل له فوائد يبينها الطنطاوي بقوله متحدثاً عن المناظرات : " إنها محمودة المغبة على كل حال ؛ لما تسفر عنه من نتائج القرائح المكنونة ، فما نعمت اللغة وغنيت إلا من هذا السجال العلمي "[207] .

وهو ينظر إليها من زاوية إيجابية ، وهذا لا ينفي عنها صفة السلبية التي تتمثل في تشتيت أذهان الدارسين ، وإغراقهم بالمسائل الخلافية التي ليست منطقاتها علمية في كل أحوالها – كما مر بيانه – وهي في غالبها مسائل فرعية.

المبحث الثاني

الخلاف في العومل والعلل

---

[206] . ينظر مقدمة الإنصاف في مسائل الخلاف _ ص3 .

[207] . نشأة النحو _ ص 50 .

حيث عوّل النحويون على العوامل كثيراً ومنحوها حيزاً كبيراً من الدرس النحوي يقول محمد طاهر الحمصي : " أضحى العامل الشغل الشاغل لأولئك النحاة ، وبات أثره الإعرابي هو النحو كله " [208] .

وهم محقون في ذلك ؛ لأن أساس النحو هو الإعراب ، وما الإعراب إلا أثر للعامل ومعمول له وعليه وجب بيانه عند الوقوف على كل معمول سواء كان العامل موجوداً أو مقدراً ، ولم تكن العلة أقل شأناً من العامل ؛ لأن كل صاحب رأي لابد له من بيان حجته فيما ذهب إليه ، ونسبة لكثرة العوامل في مقابل محدودية العلامات افعرابية ظهر هذا النوع من الخلاف الذي يكون ناتجاً من العامل ، أو العلة ؛ لأن النحاة كثيراً ما يختلفون في علة الحكم أو عامله مع اتفاقهم على الحكم الذي هو الرفع ، أو النصب أو الجر ، أو الجزم ؛ وذلك لاختلاف أنظارهم ومنطلقات قواعدهم ، واختلافهم هنا في العلة ، أو العامل ؛ لأن المعلول أو المعمول ثبت له الحكم بالنقل عن العرب ، فلا مجال للاختلاف فيه .

وهذا النوع من الخلاف هو الذي تتدرج تحته معظم مسائل الخلاف ؛ ولذلك قدمته على النوع الآخر الذي منشؤه الخلاف في أصل الحكم والوصف يقول الدكتور نهاد الموسى مبيناً هذه المسألة : " كان في معظمه خلافاً على العلل ، علل القواعد لا على القواعد في ذاتها " [209]

والخلاف هنا لا يؤدي إلى استعمال ممنوع ؛ لأنه لا يطال الألفاظ ، فلا فرق في الاستعمال يبن المختلفين ؛ لأن الخلاف لا يغير صورة الاستعمال .

---

[208]. من نحو المباني إلى نحو المعاني بحث في الجملة وأركانها ، (دار سعد الدين للطباعة والنشر _ ط 1 1424هـ ، 2003م) ص 9

[209] . رأي في رسم منهاج النحو (مجلة التربية العدد الرابع عشر _ قطر 1976م) ص15 .

وعلى هذا لو جهل هذا النوع دارس النحو غير المتخصص فإنه لا يضره جهله به ؛ لأنه لا أثر له على ضبط اللفظ ، أو الكتابة ، والمعني به هو المتخصص في العربية . وفيما يلي أقدم أمثلة لهذا الخلاف:

1. الخلاف في رافع المبتدأ

فقد طبق البصريون مبدأ أصل العمل ، وقالوا بوجود عامل متقدم على المبتدأ يرفع به المبتدأ ، ولما تعذر إظهار هذا العامل أو تقديره – جعلوه معنوياً وقالوا هو الابتداء ، وخالفهم الكوفيون فلم يأخذوا بهذا الحكم الذهني ، ورأوا أن العامل لا بد من وجوده ظاهراً أو مقدراً ؛ وبناءً على ذلك قالوا بالترافع بين المبتدأ والخبر[210] .

ويتضح من موقف النحاة في هذه المسألة – إجماعهم على الأخذ بنظرية العامل ، ولم يخرق هذا الإجماع إلا ابن مضاء القرطبي[211] الذي هاجم نظرية العامل قائلاً ببطلانها وقد سلك مسلكه بعض المحدثين .

والناظر إلي موقف الكوفيين من قضية رافع المبتدأ يظن أنهم يستبعدون العوامل المعنوية جملة واحدة ، لكن الواقع خلاف ذلك ، فقد قالوا برفع الفاعل بإسناد الفعل إليه لا بالفعل ، رُوي ذلك عن الكسائي شيخ الكوفيين ، وعن تلميذه هشام الضرير كما رُوي عن خلف الأحمر[212] .

ومثل ذلك مذهبهم في رفع الفعل المضارع ؛ لأنهم يقولون : إنه التجرد من عوامل النصب والجزم ، ولا شك أن التجرد كالابتداء في عدم الظهور والتقدير ، بينما ذهب البصريون إلى أنه مرفوع لوقوعه موقع الاسم[213] ؛ لأن الأعراب فرع في الأفعال أصل في الأسماء ؛ ولذلك عللوا ما جاء مبنياً من الأسماء ولم يعللوا

---

[210] . ينظر الكتاب _ سيبويه ، 127/2 _ والإنصاف _ ابن الأنبا ري _ 40/1 ، 41 ، 45 ، 46 .

[211] . ينظر الرد على النحاة _ ابن مضاء القرطبي _ تحقيق محمد إبراهيم البنا (دار الاعتصام القاهرة _ ط1 _ 1399هـ . 1979م) _ ص85 .

[212] . التصريح على التوضيح 1/ 269

[213] . ينظر الإنصاف _ 551/2 ، وابن عقيل _ 3/4

المعرب منها والعكس في الأفعال فإعرابه فرع لا أصل عندهم ، وأما الكوفيون فيعدونها أصلاً كالأسماء ، والأقوى رأي البصريين ؛ لمسايرته الأصل ، وعلى هذا يمكن القول بأنهم تناقضوا في موقفهم من العوامل المعنوية ، إذ لم يحددوا موقفاً ثابتاً حيالها .

2. الخلاف في ألقاب الإعراب والبناء :

فقد فرق البصريون بين ألقاب الإعراب وألقاب البناء ، فأطلقوا على المعرب الرفع والنصب والجر والجزم ، وجعلوا الضم والفتح والكسر والسكون للمبني ، فلما جاء الكوفيون قلبوا هذه التسميات فجعلوا ألقاب الإعراب للبناء وألقاب البناء للإعراب ؛ يبين ذلك الرضي بقوله : " وأما الكوفيون فيذكرون ألقاب الإعراب في المبني وعلى العكس ولا يفرقون بينهما "[214]

والخلاف في هذه المسألة وأمثالها خلاف في المصطلح لا غيره ، ولا أثر له في أصل الحكم ، وهو مما يسير في ظلال النحو لا في صميمه .

3. الخلاف في المرفوع من جزأي كان وأخواتها وإن وأخواتها :

فقد اتفق النحاة على عمل الناسخ في خبر كان وأخواتها واسم إن وأخواتها ؛ للتغيير الظاهر في العلامة ، وأما المرفوع فكان محل خلاف بين البصريين والكوفيين ، فقد ذهب البصريون إلي أن الناسخ أحدث فيه الرفع بعد أن أزال عنه رفعه الأول ، وذهب الكوفيون إلى أنه باقٍ على رفعه الأول[215] .

ولسائل أن يسأل لماذا قال البصريون بعمل الناسخ الرفع طالما أن الكلمة مرفوعة أصلاً ، وكيف تبدلت ضمة المبتدأ بضمة أخرى عند دخول عامل النسخ ، وتوضيح ذلك أن الإعراب لا يكون للكلمة المفردة ، وإنما يدخلها الإعراب بعد انضمام كلمة أخرى إليها وتكون الجملة منهما ، فالقيمة الإعرابية للكلمة المفردة

---

[214] . شرح الرضى على الكافية – محمد بن الحسن (دار الكتب العلمية بيروت _ ط2 _ 1399هـ) 2/3 .

[215] . ينظر توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك _ المرادي أبو محمد الحسن بن قاسم _ تحقيق عبد الرحمن علي سليمان (القاهرة _ دار الفكر العربي _ 2001م) 492/1 .

صفر ، وليس بالإمكان الحكم عليها بأنها مرفوعة أو منصوبة أو مجرورة ، يوضح ذلك الدكتور حسن الملخ بقوله : " زيد مجتهد ، أصبحت القيمة الإعرابية للكلمة (زيد) الرفع وكذلك كلمة (مجتهد) أي أن الكلمة المعربة تنتقل من حالة الصفر الإعرابي إلى حالة الإعراب ... وعند دخول كان تصبح الجملة : كان زيد مجتهداً ، ولو قمنا بعزل كل كلمة لأخذت كلمة (زيد) القيمة صفراً وكذلك كلمة (مجتهد) ... وعند دخول (كان) تكون مستعدة لقبول أثر العامل الجديد"[216] .

إذن منطلق البصريين منطلق سليم يقبله العقل ؛ لأن العامل الناسخ يعيد الجملة إلى قيمة الصفر ، ثم يحدث أثره بعد ذلك ، موافقاً للأثر الأول أو مخالفاً له حسب قوانين اللغة ، ولم تكن المسألة واضحة للكوفيين كوضوحها للبصريين ؛ ولذلك شوش عليهم اتحاد العلامة في الجملتين (الاسمية الأصلية ، والاسمية المنسوخة).

لكن اختلاف العامل يحتم الأخذ بقول البصريين ، فالمبتدأ كان مرفوعاً قبل دخول الناسخ على الابتداء ، وبعد زوال الابتداء لابد أن يُرفع من جهة أخرى وهي أثر العامل الجديد ، وكذلك الخبر تغير فيه العامل من المبتدأ إلى الناسخ .

4. الخلاف في عامل رفع الاسم بعد لولا :

يلي لولا اسم مرفوع باتفاق العرب ، واختلف النحاة في سبب رفعه ، فذهب البصريون إلى أنه مبتدأ محذوف الخبر وجوباً لدلالة لولا عليه ،كما ذهبوا إلى أن لولا كلمة بسيطة غير مركبة ، وخالفهم الكوفيون فذهبوا إلى أن لولا مركبة من كلمتين وليست كلمة واحدة ، وأنها رفعت الاسم بعدها ؛ لأنها نائبة عن الفعل ، الذي لو ظهر لرفع الاسم ، فقولك : (لولا زيد لأكرمتك) قدرها الكسائي بـ (لو لم يمنعني زيد لأكرمتك) ، والفعل حذف للتخفيف ، وزادوا (لا) على (لو)

---

[216] . نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين (دار الشروق للنشر والتوزيع _ عمان _ 2015م) _ ص 151 .

تعويضاً فصارتا بمنزلة حرفٍ واحد ، فعليه الاسم المرفوع بعدها مرفوع على الفاعلية ، وحجة البصريين أن (لولا) حرف غير مختص ؛ لأنه يدخل على الأسماء والأفعال ، فوجب أن لا تكون عاملة ؛ لأن الحروف لا تعمل إلا مع الاختصاص[217] .

وحاول الفراء أن يوجد هذا الاختصاص للولا حتى يستقيم مذهب قومه ، فقال باختصاصها بعد التركيب[218] .

وهذه المسألة هي واحدة من سبع مسائل وافق فيها صاحب الإنصاف الكوفيين وذلك بقوله –بعد عرض المذهبين – : " والصحيح ما ذهب إليه الكوفيون "[219] .

والراجح _ في تقديري _ ما ذهب إليه البصريون ؛ لقوة حجتهم ، ولأن الإضمار الذي قال به الكوفيون يحتاج إلى ما يفسره ويدل عليه ؛ والحذف لا يقبل إلا مع دليل لفظي أو صناعي يدل عليه ؛ ولأن العكيري منع وضع (لم) موضع (لا)[220] .

5. الاختلاف في فعل الأمر بين الإعراب والبناء :

اختلف النحويون في فعل الأمر هل هو مبني أم معرب ، فقد ذهب الجمهور إلى أنه مبني ، وذهب الكوفيون إلى أنه معرب مجزوم بلام جزم محذوفة تخفيفاً وليس هذا الخلاف حول سكون آخره ؛ لأن هذا موضع إجماع بين العرب ، وإنما في توجيه هذا السكون هل هو للبناء أم للإعراب ، واستدل الجمهور وفي مقدمتهم البصريون على بنائه ببناء اسم فعل الأمر نحو (دراك ، ونزال ، وتراك) وما أشبه ذلك وقالوا : " هذه الأسماء مبنية لقيامها مقام الفعل ، ولولا أنه مبني لما بني ما

---

[217] . ينظر الإنصاف ، 71/1 .

[218] . ينظر شرح الرضي على الكافية ، 104/1 .

[219] . الإنصاف ، 75/1

[220] . اللباب في علل البناء والإعراب _ العكبري أبو البقاء عبد الله بن الحسين _ تحقيق غازي مختار طليمات (دار الفكر دمشق _ ط1 _ 1995م) _ 134/1 .

قام مقامه "[221] ولم يسلم لهم الكوفيون بهذا الاستدلال ، وهو استدلال بالفرع على الأصل فالفعل هو الأصل ، واسم الفعل فرع عنه وهم جعلوا بناء الفرع دليلاً على بناء الأصل .

هذه المسائل التي تقدم ذكرها اختلف فيها النحاة رغم اتحاد العلامة الإعرابية ، ونشأ اختلافهم فيها من جهة التعليل أو الاصطلاح أو العامل ، وهذا قليل من كثير كما تقدمت الإشارة .

المبحث الثالث

الخلاف في الحكم الإعرابي

وهذا النوع من الخلاف تتعدد فيه العلامة ، كأن يقول أحد الفريقين بنصب الكلمة ، ويقول الآخر برفعها ، أو جرها ؛ لاختلافهم في تقدير العامل ، أو اختلاف لغات العرب ؛ لأن اللغة التي استقى منها النحاة قواعدهم ووضعوا لها القوانين على أنها لغة واحدة هي في الحقيقة لهجات لقبائل كثيرة ، وما يكون ممنوعاً في لسان قبيلة قد يكون مقبولاً في لسان أخرى ، وما يكون جائزاً عند قبيلة قد يكون واجباً عند أخرى ، وقد تتساوى هذه اللغات في فصاحتها ، أو تتفاوت ، وهذا النوع من الخلاف مؤثر في الاستعمال ؛ للتغيير الظاهر في الإعراب ، أو لاختلاف نوع الجملة كأن تكون اسمية عند بعضهم وفعلية عند بعضهم الآخر ، أو لاختلاف الكلمة بين الاسمية والفعلية والحرفية ، أو لاختلاف في الرتبة إلى غير ذلك ، وفيما يلي أقدم أمثلة لهذا النوع من الخلاف :

1. الخلاف الناشئ من اختلاف لغة العرب :

---

[221] . ينظر الإغراب في جدل الإعراب _ أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن الأنبا ري – تحقيق سعيد الأفغاني (دار الفكر – ط2 – 1391هـ – 1971م) – ص 58 .

ومن أمثلته ما الحجازية وما التميمية . فهي تعمل عمل ليس عند أهل الحجاز ويهملها بنو تميم ، ويرفعون ما بعدها على الابتداء والخبر ، وهذا الخلاف تعدد فيه وجه الصواب ؛ لقوة اللغتين ، وهو صورة من صور التوسع في للغة وإعمالها جاء في القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى :(□ □ □ □)ً {سورة يوسف آية 31} .. وقوله(□ □ □□ □ ً)}سورة المجادلة آية 2 { ؛ ولذلك قبله النحاة ، وعلى رأسهم سيبويه[222] مع أن القياس النحوي يرجح إهمالها ؛ وذلك لأنها حرف غير مختص بالدخول على صنف واحد من أصناف الكلمة ، والحروف لا تعمل إلا مع الاختصاص[223] .

ووافق سيبويه السيرافي شارح الكتاب إذ قال : " وبها نزل القرآن "[224]

وعلق ابن الخباز على كلام سيبويه بأنه يؤذن بمتابعة الآية فقط[225] ، أي آية يوسف المتقدمة ، وفي كلام الخباز إشارة إلى أن القياس النحوي يمنع إعمال (ما) لكن السماع مقدم عليه ، ولذلك قبل الإعمال سيبويه وغيره .

ومن ذلك إهمال أن الناصبة للفعل المضارع حملاً على أختها (ما) المصدرية قال ابن عقيل : " من العرب من لم يعمل (أن) الناصبة للفعل المضارع ، وإن وقعت بعد ما لا يدل على يقين أو رجحان ؛ فيرفع الفعل بعدها حملاً على أختها (ما) المصدرية ؛ لاشتراكهما في أنهما يقدران بالمصدر"[226] .

ومن شواهد إهمالهما قراءة الرفع في قوله تعالى : (بهـ تجـ تحـ تخـ تمـتهـ) سورة البقرة آية 33

---

[222] . الكتاب _ تحقيق هارون (دار الجيل بيروت _ 1991م) ، 95/1

[223] . ينظر تقنيات الإعراب في النحو العربي – حسن خميس الملخ (عالم الكتب الحديث – ط1 – 2015م) ص95 .

[224] . شرح كتاب سيبويه _ السيرافي أبو سعيد الحسن بن عبد الله – تحقيق أحمد حسن مهدلي ، وعلي سيد علي (دار الكتب العلمية بيروت _ ط1 2008م) ، 431/2 .

[225] . الغرة المخفية في شرح الدرة الألفية _ ابن الخباز أحمد بن الحسين . تحقيق حامد محمد العبدلي (دار الأنبار العراق ط1–1990م) ، 431/2 .

[226] . شرح ابن عقيل 5/4 .

وقول الشاعر :

أن تقرآن على أسماء ويحكما ** مني السلام وألا تشعرا أحدا

وقول الآخر :

إني زعيم يا نوي ****** قة إن نَجَوْتِ مِن الرَّزاح

أن تهبطين بلاد قوم ****** يرتعون من الطِّلاح[227]

ويلاحظ أن الشاعر جمع في البيت الأول بين لغتي الإهمال والإعمال حيث أهمل (أن) مع الفعل (تقرآن) وأعملها مع الفعل (تشعرا) ، وأما البيت الثاني ففيه شاهد واحد وهو الفعل المرفوع (تهبطين).

وقراءة الرفع في قوله تعالى (أن يتم) نسبها النحويون إلى مجاهد[228] ، وليست في السبع أو العشر .

2. خبر ليس بين جواز التقديم ومنعه :

اختلف في ذلك البصريون والكوفيون يقول ابن الأنبا ري : " ذهب الكوفيون إلى أنه لا يجوز تقديم خبرها عليها ، وذهب أكثر البصريين إلى جوازه ؛ لأنه كما جاز تقديم خبرها على اسمها جاز تقديم خبرها عليها نفسها ، والاختيار عندي ما ذهب إليه الكوفيون ؛ لأن ليس فعل لا يتصرف والفعل إنما يتصرف عمله إذا كان متصرفاً في نفسه "[229]

---

[227]. ابن عقيل هامش 5/4 ، والبيتان أوردهما الفراء ونسبهما إلى القاسم بن معن ، معانى القرآن ، أبي زكريا يحي بن زياد الفراء ، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار (دار السرور ، د – ت – ط)136/1 .

[228]. البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي (دار الفكر ، د – ت – ط) 154/2، وأورد أيضاً شواهد الرفع المذكورة أعلاه .

[229] . أسرار العربية – أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري –تحقيق فخر صالح قدارة (دار الجيل بيروت–ط1)– ص137

وهذا الموضع مؤثر في الاستعمال ؛ لأن التقديم والتأخير مما يجعل الكلام مختلفاً ومن العجب أن يجيز الكوفيون تقديم معمول خبر ما النافية عليها[230] – وقد منعوا تقديم خبر ليس عليها كما مرَّ ، ومن المعلوم أن (ما) عملت عملها حملاً على ليس ، فكيف جوزوا تقديم الخبر في الفرع ومنعوه في الأصل ، ومن المعلوم أن الأصل تتبعه الفروع .

3. الخبر بين المفرد والجملة :

إذا كان الظرف أو الجار والمجرور في موقع الخبر فإن النحاة لا يعدونه خبراً بل هو متعلَّق الخبر ، والخبر محذوف ، واختلفوا في تقديره قال ابن مالك :

وأخبروا بظرف أو بحرف جر ** ناوين معنى كائن أو استقر

قال المرادي : " فمن قدره كائناً جعلهما من قبيل الخبر بالمفرد ، ومن قدر استقر جعلهما من قبيل الجملة ، والأول اختيار الناظم ويرجحه أن أصل الخبر الإفراد.

والثاني : قول أكثر البصريين ، ويرجحه أن الأصل في العمل إنما هو للفعل"[231] وعمل الأسماء التي تعمل عمل الفعل فرع عن عمل الأفعال .

4. المسألة الزنبورية :

وهي من أشهر مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، والخلاف فيها يتعلق بالحكم إذ أجاز الكوفيون الرفع والنصب (فإذا هو هي) أو (فإذا هو إياها) ولم ير سيبويه إلا الرفع ، وقد فصل فيها ابن هشام القول مرجحاً ما ذهب إليه سيبويه حين قال : " فإذا هو هي " هذا هو وجه الكلام مثل ُّ □ □ □ ّ الشعراء 33 ، ُّ □ □ □ □ □ ّ سورة طه 20 ، (وأما فإذا هو إياها) إن ثبت فخارج عن

---

[230] .الإنصاف ، 172/1 _ وينظر النحو والنحاة _ ص450 .

[231] . توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ، 479/1 .

القياس واستعمال الفصحاء ، كالجزم بـ (لن) والنصب بـ (لم) والجر بـ (لعل) ."[232]

وموقف سيبويه مبني على مذهب عامة البصريين ؛ لأنهم لا يجيزون إلا الوجه المطرد في لغة العرب ، ولا يلتفتون إلي الروايات الشاذة ، ولا يبنون عليها القواعد النحوية ، وهذا ما جعل قواعدهم صارمة قوية تستمد قوتها من الكثرة المطردة في لسان العرب .

---

[232] . مغني اللبيب عن كتب الأعاريب _ جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري – تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله (دار الفكر _ ط3 – 1972م) _ ص 125 .، وينظر نزهة الألباء في طبقات اللغويين والأدباء ، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن الأنباري _ تحقيق إبراهيم السامرائ (مكتبة المنار الأردن _ ط3 _ 1985م) _ ص57
.

المبحث الرابع

أثر الخلاف في دارس النحو

كثرت مسائل الخلاف النحوي وتشعبت ، حتى قيل : "عجبت لنحويّ يخطئ"[233] وذلك لكثرة الوجوه وتعددها ، فما يقبله هذا المذهب يرده ذلك المذهب، وما يجوزه نحوي يوجبه آخر، وبلغت هذه الخلافات درجة لا تكاد تخلو فيها مسألة نحوية من خلاف ، إما في حكمها ، أو علتها ، أو عاملها ... الخ .

ولقد عُنى العلماء من وقت مبكر بمسائل الخلاف ، ووضعوا لها كتباً توضح أسبابها ، ومنطلقات أهلها ، وتوازن بين وجهات النظر فيها ، وهذا الذي أثرى الخلاف وجعل لكل مذهب أتباعاً يأخذون بآرائه ويذودون عن حوضه ، وقد ضمت المكتبة العربية أكثر من عالم عرض لمسائل الخلاف كثعلب ، وابن كيسان ، والرازي وغيرهم[234] ، ويعد ابن الأنباري أشهر من تناول مسائل الخلاف وذلك في كتابه الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، ورغم ذيوع الكتاب وانتشاره وعلوّ كعب صاحبه فإنه لم يشمل كل مسائل الخلاف ، وهو ما يفهم من عنوانه ، فهو في مشاهير مسائل خلاف البصريين والكوفيين ، وقد تقدم أن النحويين اختلفوا حتى فيما بين المدرسة الواحدة ، وبلغت مسائل الإنصاف مئة

---

[233] . نشأة النحو وتأريخ أشهر النحاة – ص 133 .

[234] . ينظر مقدمة الإنصاف – ص 4 .

وإحدى وعشرين مسألة ناقش من خلالها آراء الفريقين مرجحا ما يراه صوابا دون تحامل على فريق أو تعصب لآخر.

وأدت كثرة الخلافات – في تقديري – إلى النفور من قواعد النحو ووصفها بالصعوبة ، وهذا ما دفع بعض النحاة من المتقدمين والمتأخرين إلى محاولات تيسير النحو ، ومن محاولات التيسير الأخذ ببعض ما قرره بعض النحاة وإن خالفهم فيه غيرهم إن كان هذا البعض يمتاز باليسر ، ومن ذلك الدعوة إلى إعراب الفعل مسنداً سواءً تقدم أو تأخر ، وهذا يغني الدارس عن معرفة الفرق بين المبتدأ والفاعل ونائب الفاعل[235] .

وهذه الدعوة تنقصها الدقة ؛ لأن الفروق بين الثلاثة مهمة ، ومعلوم أن الإعراب جعل للتفريق بين المعاني المتشابهة ، وربما كانت مسالة الصعوبة هذه وراء العداء الصارخ لدرس النحو ودارسيه أحياناً ، ولكن الذي ينبغي التنبه له ، ويُحذر منه أشد الحذر – أن تُتَّخَذ هذه المسالة ذريعة لهدم اللغة ومحاربة النحو .

ومن محاولات التيسير تلك المنظومات العلمية مثل ألفية ابن مالك ، وألفية ابن معطي وغيرها ، وكلها كانت تهدف إلى التيسير والتسهيل ، لكنها لم تحاول المساس بالقاعدة ، وكان ذلك مسلكاً طيباً آتى أكله وحقق مراده ؛ لأن الشعر أيسر حفظاً و أشد وقعاً من النثر ، وحظيت هذه المتون بالشروح والتعقيبات ليزداد الأمر وضوحاً بعد وضوح وليتحقق الفهم الذي يعين على سهولة الحفظ .

ومن محاولات التيسير ما تشير إليه عنوانات كتب النحو كالإيضاح ، والأوضح والتسهيل والشافية وغيرها .

وكان بعض هذه المؤلفات مختصراً ؛ وذلك لغرض إيصال القاعدة إلى المتلقي دون تطويل ممل ، إلا أن بعض العلماء قدموا لها شروحاً مستفيضة ، وجعلت للشروح حواش وتذييلات ، وأوردوا كثيراً من الآراء والخلافات مما صعب الأمر

---

[235]. ينظر تحريرا لنجو، إبراهيم مصطفى ، وعبد الفتاح شلبي وآخرون (دار المعارف بمصر – 1958م) _ص106 – والنحو العربي شواهده ومقدماته – أحمد ماهر البقري (مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية – 1988م) ص33 .

على الدارسين ؛ ونتيجة لذلك جاءت دعوات التيسير والاختصار المعاصرة ، ومن دعاتها الدكتورة سلوى طيفور التي دعت إلى إخراج مسائل الخلاف من ثنايا القاعدة ؛ ليرجع إليها طالبها في مظانها ومؤلفاتها الخاصة بها[236] .

وهذه الدعوة تناسب دارس النحو غير المتخصص كما تناسب الطلاب في المراحل الدراسية دون الجامعية ، أما دارس النحو المتخصص في العربية فعليه أن يسبر أغوارها ويعرف حكمها وأسرارها ؛ لأنه يُعد لحمل شهادة التخصص في العربية ، كما يُعد لتقلد وظيفة معلم اللغة العربية ، ويُرجى له أن يكون من حماتها ، فليس من المقبول أن نجعل بينه وبين العربية حواجز تحول دون إدراك مراميها وأحكامها ، وتقف سداً أمام إلمامه بدقائقها ، ولا سيما علم النحو الذي يعد من أسمى علوم العربية قدرا، وأنفعها أثرا ، وأعلاها منزلة ، وهو السبيل لبلوغ غاياتها ، والطريق لسلامتها وبقائها .

ومن محاولات التيسير ما قام به الدكتور حسن الملخ الذي قسّم النحو إلى قسمين : نحو علمي ، ونحو تعليمي بقوله : " لا بد من التفريق بين النحو العلمي ، والنحو التعليمي ، فالأول يدرس علم النحو لذاته لبناء الشخصية العلمية للنحاة الذين يتوقع منهم أن يكونوا عارفين بالقوانين النحوية ... والثاني النحو التعليمي وهو الذي يقدم لأبناء الأمة ليصبحوا قادرين على تمثل اللغة قراءة وكتابة ومحادثة ، وهم ليسوا معنيين بتجاوز هذه الأغراض الثلاثة "[237] .

وهذه دعوة موفقة – في تقديري – تنبئ عن نظرة فاحصة دقيقة ، وتقدم لكل دارس ما يناسبه دون مساس بقواعد النحو التي ما تزال صحيحة سليمة ، ثم ذكر الملخ أن الممارسة التأريخية للنحو تظهر على هيئة توحد بين النحوَين ، فما يكاد

---

[236] . ينظر مجلة مجمع اللغة العربية الخرطوم (العدد التاسع _ 1434هـ ، 2013م) _ ص383 .

[237] . تقنيات الإعراب _ ص 180 ، 181 .

الطالب يعرف علامات الإعراب حتى يفاجأ بأسباب الإعراب وعلله والعوامل اللفظية والمعنوية [238].

وهذا ما جعل قواعد النحو صعبة مع أنها ليست معضلة في ذاتها ، ولكن الصعوبة تكمن في التعليل ، والعوامل ، واختلاف النحاة فيها خاصة إذا قدمت للدارس قبل معرفته بالنحو التعليمي كما أسماه الملخ ، ولتحقيق النفع لا بد من التدرج بالدارس ليبدأ بالأسهل قبل السهل ، وبالسهل قبل الصعب العميق ، كما يتحتم على المدرس أن يقدم القواعد بطريقة مشوقة محببة ، ويتجنب الطرق العقيمة المنفرة

وما أطلق عليه الملخ النحو التعليمي سمّاه فاضل فتحي بالنحو الوظيفي ، وعرّفه بقوله : " القدر الذي يتعلمه غير المتخصصين في اللغة العربية من قواعد النحو ، والذي يكفي لتمكين الواحد من أن يتحدث دون خطأ ، وأن يكتب بأسلوب خالٍ من اللحن "[239] .

وقد سبق إلى التنبه للنحو التعليمي أو النحو الوظيفي – ابن رشد الحفيد وأطلق عليه اسم الضروري في صناعة النحو[240] .

ومن دعوات التيسير الدعوة إلى حذف بعض الأبواب الافتراضية التي هي من قبيل التنبؤ العلمي وليست مستعملة في واقع اللغة ، فمن ذلك التسمية بالحرف أو الفعل غير الشائع نقله إلى العلمية[241] نحو هل ، ولم ، ولو ، إذ افترضها بعض العلماء ثم بينوا كيف تجمع وكيف تثنى وتصغر ، لو حصلت التسمية بها .

---

[238] . ينظر تقنيات الإعراب _ ص 181 .

[239] .النحو الوظيفي ، فاضل فتحي محمد والي(دار الأندلس للنشر والتوزيع السعودية ، حائل _ ط1_1415هـ ، 1995م) ص18

[240]. ينظر تقنيات الإعراب _ ص 178، 181 .

[241] . المحظورات اللغوية _ حسن خميس الملخ _ وسهى فتحي نعجة (عالم الكتب الحديث _ ط1 _ 2015م) _ ص 54 .

ومن ذلك التمارين غير العلمية في بعض أشكال الترخيم[242] ، ومن ذلك ما ذكره أبو علي الفارسي في باب التنازع بقوله : " ذلك ليس من كلام العرب ، وإنما أرادوا به أن لو كان كيف كان قياسه "[243] .

وهذه الدعوات مقبولة – في رأي الباحث – ؛ لأنها لا تمس أصل القاعدة وإنما تنفي عن النحو ما ليس واقعياً خاصة إذا علمنا ما ينتج عن هذه الأبواب من تصعيب للنحو ، وإرهاق لدارسه ، وإشغاله عما هو نافع مفيد من القواعد والأبواب .

ومن ذلك الدعوة إلى ترتيب وتنسيق بعض الأبواب النحوية ليدرس كل باب في الموقع الذي يناسبه ؛ لملاءمته لما قبله وما بعده ، وذلك نحو مسائل السداد ، كسداد فاعل اسم الفاعل مسد الخبر ، أو سداد الحال مسد الخبر ، قال الدكتور الملخ معلقاً على هذه المسألة : " هذه الحالات لا يجوز أن تذكر إلا عند شرح العنصر الثاني منها أي الساد فيؤجل شرح حالة سداد اسم الفاعل أو المفعول عن الخبر إلي درس عمل المصادر والمشتقات ، كما يؤجل شرح مسالة وقوع الحال المنصوبة موقع الخبر إلي درس الحال "[244] .

وقد دأبت مؤلفات النحويين على دراسة هذه المسائل في باب الابتداء والخبر ، والطالب في هذه المرحلة لم يكن قد درس أحكام المصادر والمشتقات ، وأحكام الحال ، وهذا ما يجعله غير قادر على فهم واستيعاب هذه المسائل ، أضف إلى ذلك ما يجده المعلم من عنت في شرح هذه الأبواب المتداخلة .

إذن دراسة الأساليب المتشابهة في باب واحد تمكن الدارس والمدرس من التصور السليم للمادة ، ويشعران بالتسلسل المنطقي في العناصر المدروسة ، فماذا

---

[242] . ينظر مجيب النداء إلى شرح قطر الندى _ الفاكهي عبد الله بن أحمد _ تعليق محمود عبد العزيز محمود (دار الكتب العلمية بيروت _ ط1_ 2006م) _ ص 338، 339 .

[243] . المحظورات اللغوية _ ص 54 .

[244] . تقنيات الإعراب _ ص 277 ، 278 .

يضيرنا لو درسنا التحذير والإغراء والاختصاص مع المفاعيل ؛ لأن هذا هو محلها المناسب فكلها مفاعيل ، ولو فعلنا ذلك لمكنّا الدارس من تصور كامل عن جميع المفاعيل .

على معلم النحو أن يظهر محبة لتخصصه وسعادة به ، ويعمل على تحبيبه إلى الطلاب ، وليحذر كل الحذر من التبرم منه ، أو رميه بالنقص أو التناقض ، كما عليه الإرتقاء بمستواه العلمي والتحسين المستمر لأدائه وأسلوبه ، ومواكبة الانفجار المعرفي الهائل ؛ ليتمكن من تلبية حاجة الطالب العلمية ، وينال ثقته واحترامه .

على الجامعات أن تعمل من أجل رفع كفاءة الأستاذ بالتدريب والتأهيل والتشجيع على البحث العلمي ، والعمل على تحسين مستوى معيشته حتى لا يضيع وقته وهو يركض وراء لقمة العيش .

من المهم جداً اتباع المعايير العلمية والأسس المهنية في تعيين الأساتذة ، خاصة أساتذة النحو ؛ لأنه يحتاج إلى ذهن متقد وحافظة قوية ، وهذا مرتكز من أهم مرتكزات النجاح ، بل لا نجاح إلا بمعلم متميز علمياً وأخلاقياً ومهنياً .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ومن تبعهم إلى يوم الدين .

وبعد :

فهذه خاتمة هذا البحث تشتمل على النتائج والتوصيات

النتائج :

توصل الباحث إلى عدة نتائج منها :

1. الخلاف النحوي قديم قدم النحو نفسه ، وقد أشار إليه واضع النحو أبو الأسود .
2. أسباب الخلاف منها العلمي ومنها غير العلمي ، فالسياسة والعصبية المذهبية والأهواء الشخصية لعبت دوراً في الخلاف .
3. النحو نحوان : نحو علمي ، ونحو تعليمي ، وقد خلطت بينهما مؤلفات النحويين .

4. محاولات تيسير النحو منها المقبول ومنها المردود ، فالمقبول ما لا يمس جوهر القواعد ، والمردود ما ليس كذلك ، والمقبول يكون في طرق التدريس ، وترتيب وتنسيق بعض الأبواب .
5. كثرة الخلافات أدت إلى النفور من قواعد النحو ووصفها بالصعوبة .

التوصيات

أوصي الباحثين ومؤسسات البحث العلمي بما يلي :

1. الاعتماد على الشواهد الحية التي تؤخذ من النصوص (قرآن ، سنة ، شعر) والتقليل من الأمثلة المصنوعة .
2. الاهتمام بالتطبيقات والتدريبات وتمكين الدارس من العيش في ظلال الأدب واللغة .
3. التزام اللغة الفصحى في قاعات الدراسة ، والاهتمام باللغة المنطوقة قبل اللغة المكتوبة
4. اشتراط التفوق في مادة اللغة العربية لقبول الطالب في كليات اللغة العربية أو أقسامها ، وعدم قبول أصحاب النسب المتدنية في الشهادة الثانوية .
5. على الدارس المتخصص أن يتعمق في اللغة ويسبر أغوارها ويعرف حكمها وأسرارها.

المصادر والمراجع

1. أسرار العربية – أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري – تحقيق فخر صالح قدارة (دار الجيل بيروت– ط1)
2. الإغراب في جدل الإعراب – أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن الأنبا ري – تحقيق سعيد الأفغاني (دار الفكر – ط2 – 1391هـ – 1971م)

3. الاقتراح في أصول النحو – السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر– (دار المعارف – سوريا 1359هـ)
4. الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين – أبو البركات عبدا لحمن ابن الأنباري – تحقيق جودة مبروك محمد جودة (مكتبة الخانجي – القاهرة – ط1)
5. البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي (دار الفكر ، د – ت – ط) .
6. تحريرالنجو، إبراهيم مصطفى ، وعبد الفتاح شلبي وآخرون (دار المعارف بمصر – 1958م)
7. تقنيات الإعراب في النحو العربي – حسن خميس الملخ (عالم الكتب الحديث – ط1 – 2015م).
8. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك – المرادي أبو محمد الحسن بن قاسم _ تحقيق عبد الرحمن علي سليمان (القاهرة – دار الفكر العربي – 2001م)
9. رأي في رسم منهاج النحو، نهاد الموسى (مجلة التربية العدد الرابع عشر – قطر 1976م
10. الرد على النحاة – ابن مضاء القرطبي – تحقيق محمد إبراهيم البنا (دار الاعتصام القاهرة – ط1 – 1399هـ . 1979م)
11. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (مكتبة دار التراث بالقاهرة – 1420هـ _ 1999م) .
12. شرح التصريح على التوضيح – خالد الأزهري (دار إحياء الكتب العربية – د،ت)
13. شرح الرضى على الكافية – محمد بن الحسن (دار الكتب العلمية بيروت ط2 –1399هـ)
14. شرح كتاب سيبويه _ السيرافي أبو سعيد الحسن بن عبد الله – تحقيق أحمد حسن مهدلي ، وعلي سيد علي (دار الكتب العلمية بيروت – ط1 2008م)
15. ضحى الإسلام ، أحمد أمين (مكتبة النهضة المصرية– القاهرة –1972م)

16. طبقات فحول الشعراء – محمد بن سلام الجمحي – تحقيق محمود محمد شاكر (مطبعة المدني _ القاهرة 1987م)
17. الغرة المخفية في شرح الدرة الألفية – ابن الخباز أحمد بن الحسين . تحقيق حامد محمد العبدلي (دار الأنبار العراق ط1_1990م)
18. الكتاب ، أبو بشر عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه _ تحقيق عبد السلام محمد هارون (مكتبة الخانجي –القاهرة – ط3– 1408هـ ، 1988م.
19. اللباب في علل البناء والإعراب – العكبري أبو البقاء عبد الله بن الحسين – تحقيق غازي مختار طليمات (دار الفكر دمشق – ط1 – 1995م)
20. مجلة مجمع اللغة العربية الخرطوم (العدد التاسع – 1434هـ ، 2013م)
21. مجيب النداء إلى شرح قطر الندى – الفاكهي عبد الله بن أحمد – تعليق محمود عبد العزيز محمود (دار الكتب العلمية بيروت – ط1– 2006م)
22.المحظورات اللغوية – حسن خميس الملخ – وسهى فتحي نعجة (عالم الكتب الحديث – ط1 – 201م) .
23. المزهر في علوم اللغة ، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم (مطبعة دار إحياء الكتب العربية _ القاهرة)
24.معانى القرآن ، أبو زكريا يحي بن زياد الفراء ، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ، محمد علي النجار (دار السرور ، د – ت – ط)
25. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب – جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري – تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله (دار الفكر _ ط3 – 1972م)
26. من نحو المباني إلى نحو المعاني بحث في الجملة وأركانها ، محمد طاهر الحمصي (دار سعد الدين للطباعة والنشر _ ط 1 1424هـ ، 2003م)
27. منطق أرسطو والنحو العربي– إبراهيم بيومي مدكور– مجلة مجمع اللغة العربية –الجزء السابع (القاهرة 1953م).
28. موقف جلال الدين السيوطي من المدارس النحوية والقضايا اللغوية ، د. راضي محمد عيد نواصرة(دار الراية للنشر والتوزيع–ط1 2012م)

29. النحو العربي شواهده ومقدماته – أحمد ماهر البقري (مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 1988م)
30. النحو الوظيفي ، فاضل فتحي محمد والي(دار الأندلس للنشر والتوزيع السعودية ، حائل – 1415 هـ ، 1995م)
31. النحو والنحاة في القرنين الأول والثاني الهجريين – د. المهدي إبراهيم عبد العال(دار الكلمة للنشر والتوزيع – القاهرة 2012م) .
32. نزهة الألباء في طبقات اللغويين والأدباء ، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن الأنباري تحقيق إبراهيم السامرائ (مكتبة المنار الأردن – ط3 _ 1985م)
33. نشأة النحو وتأريخ أشهر النحاة – الشيخ محمد الطنطاوي (دار المعارف القاهرة –ط2)
34. نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين ، د. حسن خميس الملخ (دار الشروق للنشر والتوزيع – عمان – 2015م)

أثر الدعوة المحمدية في توجيه الحركة الشعرية في صدر الإسلام

(ظهور النقد الأخلاقي)

د.إبراهيم صالح إدريس أبوبكر

أستاذ الأدب والنقد المساعد، جامعة الجزيرة ، كلية التربية الحصاحيصا، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية.

ملخص البحث

تتلخص هذه الدراسة في توضيح أثر الدعوة المحمدية في توجيه الحركة الشعرية في عصر صدر الإسلام ومن المعلوم أنّ الإسلام قد أحدث انعطافة مهمة في حياة العرب بل حول مجرى التاريخ برمته، وأن الدعوة المحمدية أثرت في المجتمع العربي .والسنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي وبذلك أثرت على الشعراء والنقاد فألزمتهم بالمنهج الإسلامي. هدفت الدراسة إلى إظهار آيات القرآن الكريم التي أصلت للأدب وبينت مكانته وإلى توضيح أثر القرآن الكريم والسنة النبوية في المجتمع الإسلامي ، وتحليل النقد الأخلاقي الذي وضعته الدعوة الإسلامية.

والمنهج الذي اتبعه الباحث في الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي وجمعت المادة من مصادر الأدب والنقد ذات الصلة بالموضوع. ويشتمل البحث على ثلاثة مباحث فالأول منه بعنوان: أثر القرآن الكريم في توجيه الحركة الشعرية ، والثاني أثر الدعوة المحمدية في توجيه الحركة الشعرية ، والثالث عن أثر الخلفاء الراشدين في توجيه الشعر. وأبرزت الخاتمة النتائج والتوصيات.

ووصل البحث إلى عدد من النتائج من بينها: أنّ القرآن الكريم قسم الشعراء إلى قسمين طائفة الغاوين أصحاب الشعر المذموم وطائفة المؤمنين الصالحين أصحاب الشعر المحمود، إنَّ الإسلام أثر في العرب وغيّر حياتهم وأدبهم بتعاليمه ولم يعاد الشعر بل شجع عليه ، وأنَّ الرسول (صلى الله عليه وسلم) أثنى على الشعراء وتبسم لقول الشعر.

مقدمة:

الحمد لله الذي جعل لغة العرب أحسن اللغات والصلاة والسلام على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) المرفوع الرتبة فوق سائر المخلوقات وعلى آله وأصحابه الذين هم الهداة بالاتفاق وبعد فإنّ رسول الله أفصح الناطقين وأحلاهم

قولاً حيث قال: أوتيت جوامع الكلم، وهذا البحث في النقد الأدبي يتناول أثر الدعوة المحمدية في توجيه الحركة الشعرية في عصر صدر الإسلام.

والمراد بصدر الإسلام الفترة الزمنية الممتدة من البعثة المحمدية المباركة ، وقبيل قيام الدولة الأموية ، والمتطلع إلى دراسة الحركة النقدية في هذه الحقبة يستوجب عليه أن يمعن النظر في حال الأدب ، في هذه الفترة التي شهدت ميلاد المجتمع الإسلامي الفتي، و عرفت انقلاباً كبيراً في المفاهيم والقيم والتصورات.

أهداف البحث:

1. إظهار آيات القرآن الكريم التي أصلت للأدب وبينت مكانته.
2. توضيح أثر القرآن الكريم والسنة النبوية في المجتمع الإسلامي.
3. تبيين موقف النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه من الأدب.
4. دراسة وتحليل النقد الأخلاقي الذي وضعته الدعوة الإسلامية.

منهج البحث

سلك البحث على المنهج الوصفي التحليلي في تتبعه للحركة الأدبية النقدية في عصر صدر الإسلام.

المبحث الأول

أثر القرآن الكريم في توجيه الحركة الشعرية

الشعر مرآة كل عصر ، وديوانُ الأمم تسجل فيه حياتها وأفكارها ومشاعرها، وكان الشعر في الجاهلية سمة العرب التي عرفوا بها وهو سجل حياتهم وتعاملاتهم والشعر الجاهلي انتقل إلينا عن طريق الرواية الشفهية من الرواة وغيرهم لأنّ الشعر يحفظ الأنساب وأخبار العرب وأيامهم .فقد حرص كل فرد من القبيلة على أن يعرف ما قيل عن قبيلته من شعر يمجدها ويفخر بها ، ويهجو أعداءها.

ولقد ساعدت حافظة أبناء الصحراء القوية وحاجة أفراد القبيلة على تواتر رواية الشعر فقد امتاز العرب بقوة حافظة نادرة المثال فضلاً عن الأسواق التي كانت تقام في شهور السنة ،فهذه الأسواق ، ساعدت على حفظ الشعر وانتشاره بين القبائل حتى اقترن اسم عكاظ بالشعر الجاهلي الموروث إلينا من الفحول الجاهليين الذين حفظت لنا ذاكرة الزمن أسماءهم تمجيداً لشاعريتهم وعبقريتهم وامتلاكهم ناصية الشعر وفنونه وكانت الأغراض التي يتناولها هي الغزل في المحبوبة وذكر الديار، ومدح أمجاد القبيلة وبطولاتها ،ووصف الطبيعة البدوية التي يعيشون فيها ،وهجاء الأعداء والتعريض بهم ، وغير ذلك من الأغراض التي كانت سائدة فكان

الشعر له مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة في نفوس العرب وهو من أجمل الفنون الشعرية وأروعها[245] .

ولأهمية الشعر في حياة العربي فلا بدّ من أن يكون للشاعر مكانة في قبيلته لأنه يفخم شأنها ويمجدها وفي ذلك يقول أبو عمر بن العلاء:" كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم على الشعر الذي يقيد عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم ويهول على عدوهم ومن غزاهم ، ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم ...)[246].

وجاء الإسلام فانكب العرب على تلاوة القرآن ، وفتح البلاد، ونشر الدين الحنيف ولكنهم لم ينسوا الشعر أبداً ، يقول ابن سلام وكأنه يعقب على قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (...كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علمٌ أصحُ منْهُ فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهيت عن الشعر وروايته، فلمّا انتشر الإسلام ، وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب وألفوا

---

[245] – حسين محمد نقشه ، حماسة أبي تمام وشرحها، الهيئة المصرية للكتاب ،1987م ص:10.

[246] – الجاحظ ،أبو عثمان بن عمرو بن بحر الجاحظ البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون ،دار الفكر ، بيروت،ط4 ج1 ص :241.

ذلك . وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل فحفظوا أقلّ ذلك وذهب عليهم منه أكثره...)[247].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : "الشعر ميزان القول". وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : " الشعر كلام من كلام العرب جزل ، تتكلم به في بواديها، وتسل به الضغائن من بينها".

ويروى عن أسماء بنت أبي بكر(رضي الله عنهما) قالت : مرّ الزبير بن العوام رضي الله عنه بمجلس لأصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) وحسان ينشدهم ، وهم غير آذنين (أي غير منصتين) لما يسمعون من شعره ، فقال : ما لي أراكم غير آذنين لما تسمعون من شعر ابن الفريعة ؟ لقد كان ينشد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيحسن استماعه ، ويجزل عليه ثوابه ، ولا يشتغل عنه إذا انشده[248].

وعندما جاء الإسلام غيَّر حياة العرب في جميع ضروبها حيث جعل العمل للدنيا والآخرة معاً وجاء بإبطال كثير من الأمور الجاهلية أولها العصبية القبلية التي كانت تسيطر على حياتهم ، ووضع قيودا بأن لايجوز تجاوزها . وجاء القرآن ببلاغته وفصاحته وإعجازه الذي تضائل أمامه شعراء وفصحاء العرب ومنهم من

---

[247] – ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء دار المدني ، جدة دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ص: 22.

[248] . الزوزني ، أبو عبدالله الحسين بن محمد بن أحمد بن الحسين الزوزني، شرح المعلقات السبع ، تحقيق ، طه عبد الرؤوف سعد ، ط،دار الحرم للتراث ، القاهرة، ص: 26.

انقطع عن قول الشعر لأنه لا يرقى إلى مكانة القرآن مثل لبيد بن ربيعة فلم يقل في الإسلام إلا بيتاً وحداً وهو[249]:

الحمدُ للهِ إذْ لمْ يأتِنِيْ أجلي حتَّى اكتسيتُ من الإسلامِ سربالاْ[250]

يحمد الله تبارك وتعالى بأن أمد في عمره إلى أنْ أدرك الإسلام ولبس منه لباس التقوى والإيمان الذي يحميه من الجاهلية وشرها.

و قد أحدث القرآن الكريم تأثيراً كبيراً في حياة العرب فقد نقلهم من البداوة إلى الحضارة، فتحضر بذلك أدبهم. و هو الذي وصلهم بالأمم و الثقافات الأخرى، فتحضر بذلك شعرهم و نثرهم. ومن آثار القرآن الكريم على اللغة العربية أنه جمع العرب على لهجة قريش التي نزل بها، و أنه ملأ ألفاظ اللغة بالقيم الأدبية و حفظ لها أصولها و معالمها، كما أحل فيها معاني جديدة و ألفاظا جديدة عبرت عن هذه المعاني، و أنه كذلك هذب اللغة من الحوشية والألفاظ الغريبة. [251]

فاتخذ الإسلام من الشّعر مواقف مختلفة على حسب طبيعة الشعر ومراحل الدعوة حيث وردت في القران الكريم سورة باسم "الشعراء" ، كما وردت بعض الآيات تعالج قضية الشعر والشعراء .ونفي صفة الشعرية عن الرسول "صلى الله عليه وسلم" وما وصفه المشركون قال تعالى **(بَلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ**[252]**)**.وصف المشركون القرآن

---

[249] – زكي نجيب ، مع الشعراء ،بيروت ، دار الشروق ،ط13 ،1982م ،:57.

[250] – لبيد بن أبي ربيعة ، ديوان لبيد،تحقيق حمدي طماس ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان : 87.

[251]–ضيف، شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي،ص:30

[252] – سورة الأنبياء الآية 5

بأنه أحلام رآها الرسول . صلى الله عليه وسلم . في نومه أو افتراء منه أو قول شعر كما يقول الشعراء الأولون وقال تعالى:(**وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ** [253]) ثم يقولون بأنهم ليس منصرفون عن ألهتهم التي وجدوا عليها أباءهم إلى شاعر مجنون حيث يصفون الرسول الكريم . صلى الله عليه وسلم . بأَنَّهُ شاعرٌ. وقال تعالى:(**أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ** [254]).ويقولون هذا شاعر نصيبه بالعذاب وصروف الدهر المهلكة . ولكن الله تبارك وتعالى نفى صفة الشاعر عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (**وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ** [255]) كما جاء في القران لفظ الشعر في قوله : (**وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ**[256]) ينفي الله صفة الشعر عن القرآن الكريم والرسول (صلى الله عليه وسلم) ليس بشاعر كما يزعم المشركون. وعن الشُّعراء قال تعالى : (**وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ**[257]). يقصد بهم شعراء المشركين الذين تناولوا الرسول الكريم ص بالهجاء ومسوه بالأذى ويخوض معهم في قول الشعر الخائضون ،حيث استثنى غيرهم من الشعراء المؤمنين الذين نصروا الدعوة الإسلامية ودافعو عنها . في قوله تعالى:(**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ**

---

[253] – سورة الصافات الآية 36.

[254] – سورة الطور الآية 30.

[255] – سورة الحاقة الآية 41.

[256] – سورة يس الآية 69.

[257] – سورة الشعراء،الآيات (224. 226).

يَنقَلِبُونَ)[258]. نجدُ الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً ثم ردوا على المشركين الهجاء الباطل بالهجاء الحق هم الذين أقرّ الدين الإسلامي شعرهم .والذين ظلموا لهم العذاب الأليم الذي ينالوه يوم القيامة .

من هنا يتضح إن المراد من هذه الآيات ليس معاداة الشعر بوصفه شكلا من أشكال التعبير الفني والدعوة إلى التخلي عنه، وليس فيها أيضاً ما يُنقص من الشعر من حيث هو شعر، وليس في نفيه عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) غض لقيمة الشعر، أو تقليل من شأنه، بل في نفيه عنه دلالة إعجاب أشد،فقد نفى الله عن نبيه الشعر الذي عرف بين العرب بقوة التأثير،و بلاغة الدلالة و القدرة على الفصاحة [259]، قال ابن رشيق:"و لو إن كون النبي(صلى الله عليه وسلم) غير شاعر غض من الشعر،لكانت أميته غضا من الكتابة، و هذا أظهر من أن يخفى على أحد"[260] .

وبناءً على هذا يمكن القول بأنّ موقف القرآن الكريم من الشعر ينبع من موقف الشعراء أنفسهم الذين ينقسمون إلى فئة ضالة بعيدة عن الحق وقفوا بشعرهم ضدّ الإسلام ووصفوا الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) بأنَّهُ شاعر . فالقرآن الكريم ذمّ هذه الفئة ونهى عن شعرهم . وهناك فئة أخرى صالحة مؤمنة واكبوا الإسلام منذ أحداثه الأولى فتأثروا. بقضاياه وقيمته ، ودافعوا عنه ، وقاموا بنشر

---

[258] – سورة الشعراء الآية 227

[259]– مصطفى عبد الرحمن:في النقد الأدبي القديم عند العرب،ص:62 .

[260]– ابن رشيق القيرواني (محمد أبو علي) العمدة في محاسن الشعر ونقده ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد بيروت، دار الجيل ، ط4 ،1972م:21

تعاليمه ورسالته . والقرآن قام باستثناء هؤلاء الشعراء عن شعراء المشركين وشجعهم بشكل أو بآخر على نظم الشعر في أداء الرسالة .

المبحث الثاني: أثر السنة المحمدية في توجيه الحركة الشعرية:

السنة النبوية: وقفت من الشعر موقفين فقد مدحت السنة النبوية الشعر وحرضت الشعراء على قوله عندما كان سلاحاً ينصر الدعوة فقد صح عن (النبي صلى الله عليه وسلم) حديثٌ في ذم الشعر ؛ روى مسلم عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال في الحديث :(لئن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خير من أن يمتلئ شعراً).[261]

وكان ممَّن حاول إيجاد مخرج لهذا الحديث السهيلي في كتابه الروض الأنف حيث استند على ما ذهبت إليه السيدة عائشة رضي الله عنها من أنّ المقصود بالشّعر الوارد: الشعر الذي هُجي به الرسول . صلى الله عليه وسلم[262].

النبي صلى الله عليه وسلم وقول الشعر:

---

[261] – صحيح البخاري ، للإمام مسلم بن الحجاج ،ج4، دار إحياء التراث العربي،بيروت:177.

[262] – السهيلي، أبو القاسم بن عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي الأندلسي المالكي، ،الروض الأنف ، تحقيق عبدالرحمن الوكيل ،دار الفكر ، ط1، 1967م ج5 : :73.

صرف الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الشعر، فلم يؤثر عنه أنَّ أنشأ شيئاً منه وهو القادر عليه ، اللهم إلا ما وقع له من غير قصد ، كقوله يوم أحد.

أنا النبيُّ لا كـذب أنا ابـنُ عبدِ المطلبِ

وقوله وقد دميت أصبعه:

هل أنت إلاَّ أصبعٌ دميت وفي سبيلِ اللهِ ما لقيت

وإنّما اتفق له ذلك كما يتفق لكل متكلم أنْ يجيء كلامه على وزن وهو لا يتعمده.

قال الجاحظ: قال بائع: (من يشتري باذنجان) لكان شعراً لأنه: مستفعلن مفعولاً، وهو كما تعلم من منهوك المنسرح ذي العروض الموقوفة، ...

كما ورد في القرآن مثل قوله تعالي: **(لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ)**[263]. وقوله تعالي: **(يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ)**[264] ، فإنهما يوافقان الرمل. وقوله تعالى : **(وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنذِرُ**

---

[263] – سورة آل عمران الآية 92

[264] – سورة سبأ الآية 13

الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ)[265]، فإنه يوافق الخفيف . وقوله تعالي : **(وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلا)**[266] ، فإنه يوافق الرجز . وقوله تعالى: **(قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ)**[267] ،فإنه يوافق الوافر. وقوله تعالي: **(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ)**[268] ، وزنه مستفعلن متفعلن. وهو رجز وقوله : **(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)**[269] من بحر الخبب ووزنه فعلن . فعلن.....

وفي كتاب الباقلاني (إعجاز القرآن) أمثلة كثيرة لما ورد في القرآن الكريم من شعر غير مقصود.

ومثل هذا يقع في كلام الناس كثيراً من غير قصد علي أنه ما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم إنما كان من الرجز الذي هو أبسط أوزان الشعر، وأقربها إلى النثر حتي تغني بعضهم أن يكون شعراً خصوصاً إذا كان من منهوكة أو مشطورة فإنه أشبه بفقرات السجع منه بالشعر وأكثر ما كان يتمثل بإنصاف الأبيات حتى لا يتحقق كونها شعراً كما فعل ببيت لبيد بن أبي ربيعة حين قال النبي صلى الله عليه وسلم : أصدق حكمة قالها لبيد:

---

[265] – سورة فاطر الآية 18

[266] – سورة الإنسان الآية 14

[267] – سورة التوبة الآية 14

[268] – سورة المسد الآية 1

[269] – سورة الكوثر الآية 1

ألا كل شيْء ما خلا اللهُ باطلُ وكل نعيم لا محالة زائل[270]

فأتى بالشطر صحيحاً ولكنه سكت عن إكمال البيت.

نلاحظُ أنْ النبي المصطفي . ﷺ . ينهى عن الشعر وروايته في بادي الأمر ولكنه مع ذلك شجع شعراء المسلمين واستنهض هممهم علي قول الشعر فقال . ﷺ . : "لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين"[271]. والرسول ﷺ يرى بأن الشعر ملازم لحياة العرب ولا يمكن تركه لأنه ديوانها وتاريخها وهو ملكه فنيه تنقسم إلي نوعين طيب وخبيث حيث يقول : "إنما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه"[272]. حيث كان يوجه الشعراء إلى أنْ يتمثلوا في شعرهم المفاهيم الإسلامية والقيم الأخلاقية السامية في الدفاع عن الدعوة والرد علي المشركين قال . ﷺ . لحسان ابن ثابت : "اهجهم . يعني قريش . فو الله لهجائك عليهم أشد من وقع السهام ، في غلس الظلام ، اهجهم ومعك روح القدس ، وألق أبا بكر يعلمك تلك الهنات"[273].

ولم يكن إعراض النبي ﷺ عن قول الشعر وروايته إغماضاً لشأنه، أو صرفاً للعرب عنه، فإنَّ المعروف أنَّه كان يقبل على الشعراء ويحسن الاستماع لقولهم ، ويثيب من يمدحه منهم، فقد خلع كعب بن زهير بردته التي اشتراها منه معاوية بثلاثين ألف درهم ، وتوارثها الخلفاء بعده ، يلبسونها في الجمع والأعياد،

---

[270] . محمود مصطفى ،الأدب العربي وتاريخه في صدر الإسلام والدولة الأموية ، مصر ط، مصطفى البابي وأولاده ،ج1،ط1937،2م، ص:29.

271 – المصدر السابق ص: 30

[272] –المصدر السابق ص:27.

[273] – السهيلي، أبو القاسم بن عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي الأندلسي المالكي،الروض الأنف ، مصدر سابق ص:30.

وكان يكثر من استنشاد الخنساء في رثاء أخيها صخر ، ويقول:" إيه يا خُناسُ" بل لقد كان يدعوا إلي قول الشعر ، ويستحي به في نشر دعوته، قد اتخذ (صلى الله عليه وسلم) حسان بن ثابت (رضي الله عنه) شاعره ، وأمره أن يهجو كفار قريش وكان يقول له: " شُنَّ الغارة علي بني عبد مناف فوا لله لشعرك أشدَّ عليهم من وقع الحسام في غبش الظلام". وكان يثيبه ويدعو له وهذه قتيلة أخت النضر بن الحارث الذي كان غالباً في عداوة المسلمين بمكة يكثر أذاهم ويلقن فتيان قريش الشعر في هجائهم، أسره النبي . ﷺ . في بدر وقتله، فجاءته أخته وأنشدته:

يا راكباً إنَّ الأثيـلَ مظنةٌ من صُبْحِ خامِسَةٍ وأنت موفقُ

أبلِغ بها مَـيتاً بِأنَّ تحيةً ما إنْ تزالُ بها النجائبُ تَخفقُ

مِنـيّ إليك عبرةٌ مسفوحَةٌ جَادتْ نواكِفْها وأُخرَى تخنفُ

هلْ يسمعني النضرُ إنْ ناديتهُ أمْ كَيف يسَمْعُ مَيِتٌ لا يَنْطِقُ؟

ظلّـت سيوفُ بني تنوشهُ للهِ أرحامٌ هنــاك تـــُشقَّقُ

صبـراً يُقادُ إلي المنيةِ مُتعباً رَسفَ المقيَّد وهو عان موثقُ

أمحمـدٌ ولدتك خيرُ نجيبةٍ في قومها وَ الفحلُ فَحلٌ مُعْرِقُ

ما كان ضرَّك لومننتَ وربما مَنَّ الفتَى وهو المغَيظُ المحَنقُ

فالنَّضرُ أقربُ من قلتلتَ قرابةً وأحقُّهم إنْ كـان عِتقٌ يعتقُ

لـو كنتَ قابلَ فدية لفديتهُ بأعزَّ ما يغلَى به من يُعتقُ

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : لو سمعت هذا قبل قتله لمننتُ عليه[274].

قصيدة رائعة استخدمت فيها أدوات الاستفهام التي تدل على التعجب والدهشة وفيها مافيها من الحزن العميق الذي انطبع أثره على وجه النبي صلى الله عليه وسلم فتمنى لو سمع هذه الأبيات قبل نفاذ الأمر.

ومن تمام الحجة في النبي . ﷺ . و رسالته أنْ حرفه الله سبحانه وتعالى عن الشعر لا يقوله ولا يحسن روايته لأنه لو قاله لوجب أن يبرز فيه ، ولا يبرز حتي يسير في نهج الشعراء من الهجاء والفخر والتشبيب والهيام في كل وادٍ من الكذب والضلالة وما تلك سبيله في الهداية وتأديب الخلق . ولو كان شاعراً لنسب العرب فضيلة النبي صلى الله عليه وسلم وحجته البالغة إلي تأثير الشعر ، و لطالما رأوا من بينهم شعراء يثيرون الحروب ويؤججون نيران العداوة فيصبح النبي . صلى الله عليه وسلم . في نظرهم صعلوكاً من صعاليكهم الذين كانوا في كل وادٍ يهيمون ، ومثل هؤلاء لا يبتغون في الأمر العظيم الذي دعا إليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فدخل فيه العرب عن بكرة أبيهم، وكان منهم ما كان من سيادة العالم، قال تعالي: **(وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ)**[275] .

---

[274]- محمود مصطفى ، تاريخ الأدب العربي ص: 14.

[275] – سورة يس الآية 69.

ولا خلاف بين أهل الدراية والرواية في علم السنة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تمثل بالشعر أو رواه تعبيراً عن موقف عرض له حكاية لحال ممثلة بغيرها وشبيهة بها وإنّما الخلاف مكمنة في حقيقة هذا الشعر وهيئته من حيث التمام والنقص ورعاية الوزن الشعري أو أحداث الخلل البنائي فيه[276].

والرسول (صلى الله عليه وسلم)كان يحب الشعر ، تجزل نفسه لسماعه؛ فقد كان يعجبه شعر الخنساء، ويستنشدها ويقول :إيه ياخنساء ويوميء بيده (صلى الله عليه وسلم) [277]، وحين قدم عمرو بن سليم الخزاعي مستشهداً بالنبي (صلى الله عليه وسلم) بعد أن أغارت قريش على خزاعة أنشده قصيدته التي مطلعها :

ياربّ إنِّي أُناشدُ محمداً حلفَ أبينا وأبيهِ الأتْلَداْ

ودمعت عينا الرسول(صلى الله عليه وسلم) تأثراً بما سمع ، وخرج بمن معه لنصرة خزاعة [278] والرسول(صلى الله عليه وسلم) قد جمع حوله إلى جانب حملة السيوف والرماح أصحاب القرائح الشعرية ، لكي يواجه بهم جميعاً صناديد الكفر، وشعراء الشرك ولم يقف في سبيل قول الشعراء المسلمين لشعرهم دفاعاً عن الإسلام والمسلمين ؛ فما كان للنبي . صلى الله عليه وسلم . وهو القائل: " إنَّ من الشّعر لحكمة وإن من البيان لسحرا " أنْ يقضي على الفن الذي نبغ فيه العرب ،

---

[276] – مصطفى عليان ، نحو منهج إسلامي في رواية الشعر ونقده ، دار البشير، عمان:54.

[277] – البغدادي، عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولباب لسان العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997م ج1،:434.

[278] – القرشي ، أبو زيد القرشي ، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق محمد علي الهاشمي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ، الرياض ، ط1،: 27.

وقد عرف أثره في نفسه ونشر دعوته، وأنَّ الشّعر يجري في هذه الأمة مجرى الدم من العروق ؛ لذلك قال . صلى الله عليه وسلم . : (لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين)[279].

و يبدو موقفه –عليه الصلاة و السلام– من الشعر أشد وضوحا، تنويهه بشعراء الدعوة أمثال:حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحه، و كعب بن مالك رضي الله عنهم. و تذكر له في هذا المجال أقوال فيها دعوة صريحة لهم للرد على شعراء المشركين قال للأنصار:"**ما يمنع الذين نصروا الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم**"[280].

و من هنا يمكن حل هذا التناقض الظاهري في موقف الرسول(صلى الله عليه وسلم) من الشعر فهو لم يرفض الشعر جملة، ولم يرفضه على إطلاقه، فهو حين يرفضه إنما يرفض منه ما يتعارض مع الإسلام و مبادئه الروحية،أو يذكي روح العصبية في نفوس العرب التي أراد الإسلام أن يقضي على مآثمها في المجتمع الإسلامي الجديد، و هو حين يقبله لا يقبل منه إلا ما يحث على الفضائل و مكارم الأخلاق[281].

والرسول . ﷺ . يحث حسان بن ثابت على قول الشعر في هجاء المشركين ويبشره بأن جبريل عليه السلام يقف معه في معركته هذه ويجب عليه أن يلتقي بسيدنا أبي بكر الصديق . ﷺ . ليعلمه انساب العرب وتواريخ قبائلهم ، كما كان الرسول . ﷺ . يعجب بالشعر ويصفه عندما يسمع بعض روائعه بقوله . صلى الله

---

[279] – بدوي طبانة ، دراسات في نقد الأدب العربي، دار الثقافة للطباعة و النشر والتوزيع :83.

[280]– أبو الفرج الأصفهاني:الأغاني، ج4،ص:142.

[281]– المصدر السابق ، ج4،ص:20.

عليه وسلم . : "إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر لحكمة"[282] حيث يوضح بأنَّ من البيان ما هو يسحر النفس ويسرها من الشعر الحكم والمواعظ التي يجب أن يتعلمها الإنسان ويستفيد منها يقول النابغة الجعدي رضي الله عنه[283] :

بلغ من مكانة الشعر، لدى هادي الأمة ونبي الرحمة . صلى الله عليه وسلم . ، أنه استمع للشعر في المسجد النبوي، من عدد من الشعراء، منهم : النابغة الجعدي الذي قدم على النبي ﷺ، فأنشده قصيدته التى مطلعها:

خليلي عوْجا ساعة وتهجرا ولوما على ما أحدث الدهر أو ذرا

ولا تجزعا أن الحياة ذميمة فخفا لروعات الحوادث أو قرا

وإن جاء أمر لا تطيقان دفعه فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا[284]

والشاعر هنا يحتفظ بشكل القصيدة العربية الجاهلية وخاصة المقدمة الطللية، على الرغم من أنه ينشدها في حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ثم ينتقل إلى موضوع القصيدة التي أنشدت من أجله وهو الفخر، فيقول:

وإنا لقوم ما تعود خيلنا إذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا

وننكر يوم الروع ألوان خيلنا من الطعن حتى نحسب الجون أشقرا

---

[282] – أبو الفرج الأصفهاني:الأغاني،ج4: 9.

[283] ـ أبو دياب، خليل إبراهيم أبو دياب ، النابغة الجعدي ،حياته وشعره ، دمشق دار القلم ،بيروت دار المنارة ، ط1 ،1987م،ص:141.

3– النابغة الجعدي ، ديوان النابغة الجعدي، دار الفكر بيروت، وليد قصاب، ص:122

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهر ا[285]

في الأبيات السابقة نجد أن الشاعر قد احتفظ بغرض تقليدي وهو الفخر إلا أن النابغة قد أثر فيه الإسلام بمعانيه ذات التصور الجهادي فخرج من الفخر بالذات والقبيلة إلى فخر أوسع وأعم وهو ذكر القوم وتعني الجماعة من الناس تجمعهم الفكرة لا العنصر، إذ يجعل الشجاعة عادة خيلهم وفي هذا صورة مجازية ذات دلالة مؤثرة وتتابع الصور البيانية في الأبيات حتى ينكر لون خيليه بسبب تسربلها بالدماء ثم يخرج بالفخر من الأرض ليرتبط الفخر بالقيم الإسلامية ثم يرجوا جزاء لفعله هذا الجنة. ثم يأتي أعجاب النبيﷺ في قوله ﷺ: (إلى أين المظهر يا أبا ليلي؟ قال: إلى الجنة، فقال له الرسولﷺ: نعم إن شاء الله)[286]، وواصل النابغة قصيدته حتى وصل إلى بيته الذي يقول فيه:

ولا خير في حلم إذا لم تكن بوادر تحمى صفوه أن يكدرا

ولاخير في جهل إن لم يكن له حليم إذا ا أورد الأمر أصدرا[287]

فبلغ من إعجاب الرسول الكريم بهذين البيتين أن دعا للنابغة الذبياني بقوله: (لافض الله فاك)[288]، فلم تسقط للنابغة سن بعد ذلك على تعميره. وبهذا يكون النبي قد أجاز مثل هذا النوع من الشعر وأثاب عليه بالدعاء.

فقد أنشده كعب بن زهير رضي الله عنه* قصيدته المشهورة(بانت سعاد) في المسجد ، كما أن النبي ﷺ أثاب كعب بن زهير ثواباً مادياً عندما أنشده الآمية المشهورة بالبردة، والتي قال فيها:

4- المصدر السابق ، ص141.

[286]- ابن هشام ، أبي محمد عبد الملك بن هشام السيرة النبوية ،قدم لها وعلق عليها وضبطها طه عبد الرءوف سعد ، دار الجيل بيروت ص:225.

2- النابغة الجعدي ، ديوان النابغة الجعدي، مصدر سابق ، ص511.

[288]- ابن الجزري ، أُسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الكتاب، ط2، ج4، ص243.

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغن غضيض الطرف مكحول

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة لا يشتكى قصر منها ولا طول

تجلو عوارض ذي ظلم إذ ابتسمت كأنه منهل بالراح معلول

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما موعيدها إلا الأباطيل

فلا يغرنك ما منت وما وعدت إن الأماني والأحلام تضليل

أمست سعاد بأرض لا يبلغها إلا العتاق النجيبات المراسيل

يسعى الوشاة بجنبيها وقولهم إنك يابن أبي سلمى لمقتول

وقال كل خليل كنت آمله لا ألفينك إني عنك مشغول

فقلت خلو سبيلي لا أبا لكم فكل ما قدر الرحمن مفعول

كل ابن أنثى وأن طالت سلامته يوما على آلة حدباء محمول

أنبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول[289]

إن هذه اللامية الآنفة الذكر من عيون الشعر العربي، لأنّ شاعرها كعب بن زهير بن أبى سلمى غذي الشعر وليدا وعليه فطم، فأبوه شاعر فذ خلد هرم بن سنان بمدائحه ولولاه لماتت مآثرهما، وأخوه بجير شاعرا أيضا وابنه علقمة شاعر

---

[289]– كعب بن زهير ، الديوان ، تحقيق على فاعور، دار الكتب العلمية بيروت لبنان (1417هـ – 1997م)ص 73.

معروف، أما الممدوح فيها فخير الورى سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وقد قسمها الشاعر إلى ثلاثة أجزاء: الجزء الأول في النسيب والتشبيب، وهذا ديدن الشعراء لما يرونه من رقة النسيب ونفاذه للقلوب وأسره للأسماع والأفئدة، واستمر هذا الجزء حتى البيت الثاني عشر، ثم التفت إلى الجزء الثاني من البيت الثالث عشر واصفا ناقته والمشقة والعنت الذي لاقه إبان سيره بها حتى وصل الرسول ﷺ، ثم خلص في البيت الرابع والثلاثون للغرض الأساسي ألا وهو مدح المصطفى صلاة ربي وسلامه عليه وبيان خوفه ووجله من القتل، ثم شرع يعتذر بأن ما نسب إليه ما هو إلا أقوال وشاة، حتى يصل إلى طلب الصفح الجميل ويسير على هذا النهج حتى خاتمة القصيدة.

ويروى أن النبي (ﷺ) سأل كعب بن زهير من سعاد؟ فقال إحدى بنات عمي، ووجهه لتغير بيته، الذي قال فيه:

إنّ الرّسولَ لنورٌ يستضاءُ به مُهْنَدٌ من سيوفِ الهند مسلولُ[290]

فعدّله النبي(ﷺ) فقال (من سيوف الله)[3]

فقد مدح كعب بن زهير المصطفى بالشجاعة وشبهه في مضائه بالسيف المسلول ولكنه نسب هذا السيف إلى الهند على جاري عادة الجاهلين من نسب السيوف الجيدة إلى الهند لأنها موطن صناعتها،ألا أن رسول الله نفى تبعيته إلى الهند لأن الأمر يتعلق بالعقيدة والعقيدة أول ما يبنى في كل مدرسة أو مذهب، ولهذا السبب الجوهري نقد رسول الله البيت وغير محتواه ولم يغير سواه، رغما عن تغزل كعب

---

[290]. كعب بن زهير ، الديوان مصدر سابق، ص73

1. السيد أحمد عمارة ، في النقد الأدبي ، ص 87 .

بن مالك في محبوبته غزلا حسيا، وهذا الموقف من النبي يدحض ما ذهب إليه بعض النقاد من أن الإسلام قد حرم الغزل ونهى عنه، والراجح أن هؤلاء النقاد فهموا تهذيب الإسلام لغرض الغزل تحريما مطلقا.

هذه الأبيات تمازجت فيها الصورة البيانية مزجاً رائعاً بين التشبيه ما هو بليغ وتشبيه للتمثيل وبين الاستعارات الرائعة التي لها وقع في النفس.

يرى الباحث من خلال هذا النقد النبوي وما أنطوى عليه من تعديل وُجّه كعب إليه ، هو الرأي الصائب والقول السديد وأن سيوف الله لا تفل ولا تحيد عن مواطن الحق وهذا معنى إسلامي جميل بل في غاية الروعة والحسن وهذا ما يسمى بالنقد الأخلاقي المنضبط بقواعد الإسلام وتعاليمه.

عندما سمعَ الرسولُ . ﷺ . هذه القصيدة أعجب بها وأهدى الشاعر بردته. لما في ذلك الشعر من مدح للرسول . ﷺ . والمهاجرين بقيم إسلامية وأخلاق فاضلة، فأثر في نفس الرسول - ﷺ - علي الرغم من التعريض بلأنصار في البيت قبل الأخير.

ولم يكن الرسول . ﷺ . يقيم وزن بيت يرويه أو يتمثل به ، كما فعل ببيت طرفة بن العبد فأنه رواه خلاف أصله حيث رواه هكذا:

سَتبِدي لَكَ الأيَامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً وَيَأْتِيَك مَنْ لم تُزَودْ بالأخَبار[291]

وأصله :

ويأتيك بالأخبار من لم تَزود[292]

وأكثر ما كان يتمثل بأنصاف الأبيات حتى لا يتحقق كونها شعراً كما فعل ببيت لبيد بن أبي ربيعة رضي الله عنه حين قال : (أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد:

(ألا كل شيء ما خلا الله باطل)[293]

فأتى بالشطر صحيحاً ولكنه سكت عن عجز البيت.

والرسول (ﷺ) كان يرتجزُ قول عبد الله بن رواحة:

لا هُمّ لولا أنتَ ما اهتديْنـا ولا تصدَّقْنا ولا صلَّينـاْ

فأَنـزلنَ سكينةً علينـا وثَبِّت الأقدامَ إنْ لاقَيْنـاْ

إنّ الأُلَـى قد بَغوا علينـا إذ أرادواْ فتنـةً أبيْنـاْ[294]

---

[291] . طرفة بن العبد ، ديوانه ، 34.

[292] – محمود مصطفى ،الأدب العربي وتاريخه في صدر الإسلام والدولة الأموية ، مصر ط، مصطفى البابي وأولاده ،ج1،ط1937،2م:39.

[293] – المصدر السابق:40.

[294] . عبد الله بن رواحة ، ديوانه ، تحقيق وليد قصاب ، دار العلوم – الرياض ، ط1، 1981م : 19

لذلك لا يمكن القول بأن النبي(ﷺ) قد نهى عن قول الشعر عموماً ، ولا يمكن القول أيضاً أنه شجع الشعر دون توجيه أو تهذيبه .فنجد أنّه سمع قول الشعر في المسجد وكافأ عليه قائله كعب بن زهير وعفا عنه .كما نجده أعجب بالشعر ووصفه بأنّه جيد المعنى أي أصدق كلمة قالها شاعر عند لبيد وقال انه لو سمع قول قُتيلة بنت الحارث لم يقتل أخاها كما كان يرتجز قول عبد الله بن رواحه[295].

إذاً فقد جاء موقفه(صلى الله عليه وسلم) من الشعر متسقا غاية الاتساق مع موقف القرآن الكريم منه فهو يعرف ما للشعر من مكانة في حياة العرب و قلوبهم، ولهذا لم يرد أن تتخلى العرب عن الشعر، و لكنه أراد أن يتجه إلى إقرار الإسلام و مبادئه في النفوس، و يتخلى عن كل ما يتعارض مع مبادئ الدين العقدية و الخلقية، وأن يكون سلاحاً يدرأ به هجوم المشركين على الإسلام بما لهم من ألسنة حداد[(296)].

وحيثما كان النبي . صلى الله عليه وسلم . يستمع إلى إنشاد الشعراء كان يستمع بعقل الناقد البصير ، وكان كثيراً ما يوجههم نحو الصحيح من القول، والحسن من الكلام، وأكثر ما كان ذلك حين يشتم رائحة الجاهلية في كلام الشعراء المسلمين[297].

---

[295] – شهاب الدين بن أحمد بن عبد الوهاب النويري ،نهاية الأرب في فنون الأدب ،القاهرة ،مطبعة دار الكتب المصرية ج17،ط1955،1م،ص:196.

[(296)]– نجوى صابر :النقد الأخلاقي أصوله و تطبيقاته،دار العلوم العربية ،بيروت،ط1، 1990م ص:17/16.

[297] – السيد عبد القادر عويضة، أثر الإسلام في الشعر ،ط1 ،1987م، مطبعة الأمانة ،ص:38.

كُلُّ ذلك يدل على أنَّ الرسولَ (ﷺ) لم ينه عن الشعر تماماً وإنما كان يشجع الشعر الذي يدل علي الأخلاق الفاضلة ، ويدافع عن الدعوة الإسلامية وينصرها بالكلمة كما ينصرها بالسيف. ونهى عن الشعر الذي يخرج عن هذه المبادئ السامية ويكون ضد المسلمين والإسلام .

المبحث الثالث: أثر الخلفاء الراشدين في توجيه الحركة الشعرية

سلك الخلفاء الراشدون على خطا النبوة في موقفهم من الشعر حيث حثوا علي الشعر الذي يخدم الإسلام ويوافق مبادئ وأخلاقيات الرسالة الإسلامية وسيدنا أبو بكر الصديق (ﷺ)لم ينه عن قول الشعر بل أقر ذلك وقَبله في بعض المواضع عندما كتب إليه بعض الشعراء في زمن يناصرونه ويدافعون عنه ؛ وينسب إلي سيدنا أبى بكر الصديق (رضي الله عنه):

أمِن طيف سلمَى بالبطاحِ الدمائثِ أرقْتَ ،أو أمر في العشيرةِ حادث

ترى مـن لؤلؤ فرقة لا يَصُدُّها عن الكفرِ تذكيرٌ ولا بعثُ باعث

رسولٌ أتاهُم صـادقٌ فتكذَّبوا عليه وقالوا: لستَ فينا بماكث[298]

يرى الباحث أنَّ أبيات الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) تنم عن شاعرية ذاتية صادقة فيها من البلاغة والفصاحة مكنته بأن يأتي بما هو جميل ورائع.

وقد اشتهر سيدنا عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) بأنَّه كان كثيراً ما يسأل وفود القبائل عن شعرائهم. وكان من أكثر الناس معرفة بالشعر ونقده حيث كتب إلى أبي موسي الأشعري (رضي الله عنه) واليه علي البصرة قائلاً: (مُرْ من

[298] – السيد عبد القادر عويضة، أثر الإسلام في الشعر، مصدر السابق،ص:32.

قِبَلِكَ بتعليم الشعر فأنه يدل على معالي الأخلاق وصواب الرأي ومعرفة الأنساب)[299].

وقد مضى الخلفاء الراشدون مهتدين بهدي الإسلام الحنيف ينهون عن الهجاء ويعاقبون عليه. كما في قصة الحطيئة مع سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول فيها مخاطباً أمير المؤمنين:

مَاذَا تقولُ لأَفْراخٍ بذي مَرَخٍ حُمرِ الحَواصِل لا ماءٌ ولا شَجَرُ

ألقيتَ كاسِبَهُمْ في قَعْرِ مُظْلِمَةٍ فاغْفِرْ عَلَيْكَ سلامُ الله يا عُمَرُ

أنتَ الأمينُ الذي من بعد صاحبِه ألقتْ إليك مقاليدَ النُّهى البشرُ

لم يؤثروكَ بها إذْ قدَّموكَ لها لكنْ لأنفسِهم كانت بك الخيرُ[300]

عندما سمع سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الأبيات عطف عليه وأمر بإطلاق سراحه بعد أنْ عاهده على ألّا يعود إلى مثل هذا الهجاء، كما نسب إلى سيدنا عثمان بعض الآبيات يقول :

غِنَى النفسِ يغنِي النفسَ حتَّى يكفّها وإن عَضَّها حتى يضرَّ بها الفقرُ

وما عُسَرَةٌ – فاصبرْ لها إن لقيها بكائنة إلا سيتبعُها يُسْرُ[301]

---

[299] – ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر ونقده ، مصدر سابق ،ج1، ص:32.

[300] – الحطيئة ، ديوان الحطيئة ، شرح ابن السكيت والسكري و السجستاني ، تحقيق،نعمان أمين طه ، مصر ، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده :280.

وقال سيدنا على بن أبى طالب (رضي الله عنه) يصف الشعر بقوله : (الشعر ميزان القول)[302]

وموقف الرسول (صلى الله عليه وسلم) وخلفائه الراشدين من الشعر يتسق مع بعضه البعض، فلم ينه عن قول الشعر عامة ، بل نهى عن قول شعر معين. مثل شعر الهجاء المقذع، ومهاجمة الإسلام والمسلمين ، وفي الجانب الآخر الرسول صلى الله عليه وسلم كان يستحسن بعض الشعر الذي يحمل القيم والأخلاق الإسلامية ويرتجز بعضه ويثيب عليه ويشجع شعراء المسلمين الذين يحمل شعرهم عبء الاتصال المباشر بالقيم الإسلامية الجديدة ، وما تحمله من مظاهر التغيير في السلوك والأخلاق والقيم الاجتماعية والروحية بحيث وقعه على المشركين اشد من وقع السهام في غلس الظلام.

وسارَ الخلفاءُ الراشدون من بعده (صلى الله عليه وسلم) على نفس المنهج في رؤيتهم للشعر حيث قبلوا ما هو متسق مع الرسالة الإسلامية ومبادئها السامية وأخلاقها الفاضلة وشجعوا الشعراء في هذا الطريق من أجل نشر القيم الروحية والدفاع عن الدعوة والرد علي المشركين والكفار ورفضوا ما هو قبيح من الألفاظ والمعاني وينادي بالفحشاء ويهاجم الإسلام.

---

[301] – القيرواني ، ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر ونقده مصدر سابق :34.

[302] – المصدر السابق:34.

كَمَاْ عرفنا كانَ الشّعر في عهد النبوة ، وأما حاله بعدها فأقل شأناً وأحط مكاناً لذهاب المعارضة ولشدة الخلفاء في تأديب الشعراء ، وانصرف هم العرب إلى الفتوح ولكن الدين قد بدأ بفعل في النفوس ومظاهر الحضارة قد أخذت تؤثر في الأذهان فظهر أثر ذلك ضئيلاً في شعر كعب بن زهير والخطيئة ومعن بن أوس والنابغة الجعدي ولكنه أثر لا يتعدى بعض الألفاظ الإسلامية كالمعروف والمنكر والصلاة والمهاجرين والأنصار[303].

وبالرغم منْ أنَّ العربَ انشغلوا بالإسلام فإنَّهم لكونهم أبناء بيئتهم ولقرب عهدهم بالجاهلية وغلبة الشعر في تلك البيئة اجتماعياً وفكرياً وقبلياً أبقوا للشعر أهمية.

فقد كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يحث حسان بن ثابت (رضي الله عنه) للرد على شعراء قريش .وكان (صلى الله عليه وسلم) يستنشد الصحابة الشعر .وسار خلفاء رسول الله ص على نهجه فشجعوا الشعر واستنشدوا الشعراء والرواة .وأظهروا إعجابهم بما يسمعون واستشهدوا بالشعر في خطبهم وأحاديثهم إلى الناس.

وكانَ هذا شأنُ الصَّحابة ـ رضي الله عنهم ـ أيضاً . فقد كانوا كثيراً ما يتناشدون الشعر. وذكر ابن سعد (قيل للحسن البصري أكان أصحاب رسول الله .

---

[303] – الزيات أحمد حسن الزيات ، تاريخ الأدب العربي ، دار المعارف:104.

صلى الله عليه وسلم . يمزحون؟ قال : نعم ويتقارضون من القريض وهو الشعر)[304].

ومعنى ذلك أنّ رواية الشعر والتمثيل به كانت مستمرة في صدر الإسلام . وقد عزز من الحاجة إلى الشّعر وروايته إقامة الدواوين وتخطيط المدن وتقسيم أرزاق الجند إذ أنّ معرفة الأنساب ذات أثر مهم في ذلك . وكان النسابون كثيراً ما يسوقون قطعاً من الشعر تحدد النسب[305].

ويلمحُ الباحثُ كذلك أنَّ كثيراً منَ الخلفاء الراشدين وكبار الصحابة والتابعين ومشهوري الفقهاء كانوا يقولون الشعر وكما كانت الوفود تفد على النبي صلى الله عليه وسلم في حياته وكان يخوض معها فيه ، وكذلك كانت تفد على خلفائه من بعده في المدينة وكان الخلفاء أيضاً يخوضون معهم في التاريخ الجاهلي ورجاله ، ولم يكن خوضهم هذا قاصراً على اللقاء بسبب الوفادة وحدها إنما كان يحدث في كل لقاء يلاءم موقف الشعر ،وكان عمر رضي الله عنه أكثرهم خوضاً في الشعر وهو القائل: (كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه)[306].

فقدْ كانت سيرة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم تبعاً لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتفون أثره ويتحرون سنته في شأنهم كله وكانوا أعلم الناس

---

[304] – ابن سعد ،أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري ، الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ، ج2: 22.

[305] – حسين محمد نقشه ، حماسة أبي تمام:13.

[306] – ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء مصدر سابق:22.

بذلك وأحصرهم عليه ولا غرو في ذلك فإنهم حفظوا القرآن الكريم وعملوا به وعرفوا السنة والتزموا بها[307].

وإذا أردنا أن نتعرف على شخص كان يتذوق الشعر في عصر صدر الإسلام بخلاف النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم فإننا نجد عبد الله بن العباس . رضي الله عنه . في مقدمة هؤلاء الذين يتذوقون الشعر، الذي كان يعرف قدر الشعر، ومن ثمّ دعا إلى تعلمه حيث يقول . رضي الله عنه . :(الشّعرُ علمُ العرب وديوانها فتعلموه ، وعليكم بشعر الحجاز...)[308].

وأبرزُ عهد حفلَ فيه الشّعر وازدهر ونمى هو عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ لأنَّ عهد عمر. رضي الله عنه . كان أطول العهود وأحفلها ولأنّه كان من نقاد الشعر ورواته والمقبلين عليه ومع ذلك كان شديداً على الشعراء في الهجاء ألجم أفواههم من فاحش القول وأخذهم بالحد والعقوبة الصارمة ،ونهاهم أن يذكروا ما قيل في شعر بين مكة والمدينة يوم كانت مكة على الشرك والضلال .[309]

وَقَدْ حدَثَ في عهد الخلفاء الراشدين بعض التطورات في موضوعات الشعر ودعت إليها ظروف الحياة الإسلامية ، فشعر الحماسة الجاهلية أصبح شعراً حماسياً إسلامياً بفضل حركة الفتوح التي اشترك فيها المجاهدون المسلمون ،فقد

---

[307] – ناصر عبد الرحمن الحنين ، الالتزام الإسلامي في الشعر ، دار الأصالة ،الرياض ،ط1، 1987م: 152.

[308] – الأندلسي ، ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، مصدر سابق، ج5،:281.

[309] – محمد خضر ، أدب صدر الإسلام ، طبعة خاصة 1981م :182.

سجل الشعراء وقائع المعارك الفاصلة ، ورثوا شهدائهم ووصفوا المعاقل والحصون والأفيال التي استخدمها الفرس في قتالهم ويضمنوا في شعرهم معنى إسلامياً يرتبط بفكرة الجهاد في سبيل الله.[310]

ويرىْ الباحثُ أنَّ موقفَ الرسول(صلى الله عليه وسلم) وأصحابه من الشعر هو الموقف المثالي ، وأنّ الشعراء الذين أسلموا يمثلون تياراً إسلامياً قومياً لا ينبغي التقليل من شأنه إذا قورن بالشعر الجاهلي وأنّ معاني الإسلام قد تطرقت إلى هذا الشعر في موضوعاته وألفاظه فأصبح يغاير الصورة الجاهلية التي عرف بها.

يلاحظُ الباحثُ أنَّ المستقرئَ للنتائج الشعرية على عهد النبوة والراشدين يجد أنه مال إلى جانب الالتزام حيث اتخذ الشعراء الشعر أداة إصلاح للمجتمع ، وخدمة الدعوة والعقيدة.

ويخلصُ الباحثُ إلَى أنَّ الشّعر الجاهلي كان يختزن التقاليد الجاهلية فإن هؤلاء الناس لم يعودوا إلى الشعر الجاهلي نفسه ، ولكنما أنشئو شعراً جديداً مخالفاً في معانيه وأغراضه وفي القيم التي كانت تضفي عليه أحياناً .. ولهذا لم يعد كثير من الشعراء هذه الرموز التي تختزن التقاليد الجاهلية وإنما " الشعر بمنزلة الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام " على حد تعبير الحديث الشريف[311].

---

[310] – محمد مصطفى مدادة ، الشعر العربي ، دار العلوم العربية :16 .

[311] . فيض القدير ، شرح الجامع الصغير، ج4 ،: 175، حديث حسن مروي عن بن عمر وعائشة.

ومعنى ذلك أنّ هذه الرفعة والقدسية التي كانت للشعر الجاهلي قد سقطت ، وأن الشاعر الذي كان محاطاً في الجاهلية بهذا الجو السحري الذي تلهمه إياه الشياطين ، وتوحي إليه بالشعر عاد إنساناً عادياً لا يختلف عن غيره من الناس في شيء كثير إلا في هذه الموهبة الخاصة التي يستطيع بها هذا الحديث.

الخاتمة

الحمدُ لله الذي رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الكرام صلاةً دائمةً إلى يوم الدين...أمّا بعد:

فقد تمَّ بعون الله تعالي وتوفيقه هذا البحث الذي كان بعنوان: "أثرُ الدعوة المحمدية في توجيه الحركة الشعرية في عصر صدر الإسلام وتوصلت الدراسة إلى نتائج وتوصيات.

النتائج:

أولاً: إنَّ الإسلام أثر في العرب وغيّر حياتهم وأدبهم بتعاليمه .

ثانياً: الإسلام لم يعاد الشعر بل شجع عليه . وأنَّ الرسول (صلى الله عليه وسلم) أثنى على الشعراء وتبسم لقول الشعر.

ثالثاً: القرآن الكريم قسم الشعراء إلى قسمين طائفة الغاوين أصحاب الشعر المذموم وطائفة المؤمنين الصالحين أصحاب الشعر المحمود.

رابعاً: الخلفاء الراشدون ساروا في توجيه الحركة الأدبية والنقدية على خطا النبوة.

التوصيات:

نوصي بالمزيد من الدراسات الأدبية و النقدية و البلاغية في الأدب الإسلامي لما يمتاز به من غنى وثراء.كما نوصي بالوقوف على بعض القضايا الأدبية التي أثرت تأثيراً مباشراً على حركة الأدب عامة ومازال أثرها باق حتى اليوم كقضية الالتزام في الشعر العربي وقضية الشك والانتحال وغيرها من القضايا الأدبية التي شغلت الأدباء والنقاد حتى اليوم.

المصادر والمراجع:

1. أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي .، دار المعارف.

2. الإمام مسلم بن الحجاج ، صحيح البخاري، إحياء التراث العربي، بيروت.

3. البغدادي عبد القادر بن عمر البغدادي ، خزانة الأدب ولباب لسان العرب ط4، القاهرة ،1997م.

4. بدوي طبانة ، دراسات في نقد الأدب العربي، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع.

5. حسان بن ثابت ، ديوان حسان بن ثابت .

6. الحطيئة ، ديوان الحطيئة ، مطبعة مصطفى الجيلي وأولاده.

7. حسين محمد نقشة ، حماسة أبي تمام وشرحها، 1987م.

8. أبو دياب خليل إبراهيم ، النابغة الجعدي ،حياته وشعره ، دمشق ،دار القلم بيروت ، المنارة ط1، 1987م.

9. الرازي أبو عبد الله الحسين بن محمد أحمد الحسن ، شرح المعلقات السبع ،ط1 ، دار الحرم للتراث، القاهرة.

10. ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر ونقده ، بيروت ،دار الجيل ،ط4، 1972م.

11. زكي نجيب ، مع الشعراء ، بيروت ، دار الشروق ، ط13، 1982م.

12. أبو زيد القرشي ، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والاسلام ،دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ، الرياض.

13. ابن سعد أبو عبدا لله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري ،الطبقات الكبرى ، دار صادر بيروت.

14. السيد عبد القادر عويضة ، أثر الإسلام في الشعر ، ط1 ، مطبعة الأماني، 1987م.

15. عبد الله بن رواحة ، ديوانه ، دار العلوم ، الرياض ط1، 1981م.

16. ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد.

17. كعب بن زهير، ديوان كعب ، دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ، 1997م

18. لبيد بن أبي ربيعة ديوان لبيد ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان.

19. أبو القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، الروض الأنف.

20. محمد مصفى ، الشعر العربي ، دار العلوم العربية.

21. محمد خضر أدب صدر الإسلام طبعة خاصة ، 1981م.

22. محمود مصفى الأدب العربي،وتاريخه في صدر الإسلام والدولة الاموية ، مصفى البابي وأولاده ط2، 1937م.

23. مصطفى عليان ، نحو منهج إسلامي في رواية الشعر ونقده ، دار البشير عمان.

24. النابغة الجعدي ، ديوان النابغة، دار الفكر بيروت.

25. نجوى صابر ،النقد الأخلاقي أصوله وتطبيقاته ، دار العلوم العربية بيروت ط1 ، 1990م.

26. ناصر عبد الرحمن الحنين الالتزام الإسلامي في الشعر والأصالة ، الرياض ، ط1 1987م.